أعمال إلهِنا الرَّؤوف

فجر يوم مجيد أشرق بنور جديد حول صفات الله

جاي أي. شلبرغ

أعمال إلهنا
الرَّؤوف

فجر يوم مجيد أشرق بنور جديد
حول صفات الله

إقامة الحجج لصالح إله لاعنفي:
دراسة تعترض على المفاهيم الخاطئة
عن الله وتعرض منظوراً
بديلاً ومُشَجِّعاً

جاي أي. شلبرغ

Copyright © 2020 Jay A. Schulberg

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة. لا يجوز استخدام أو إعادة إنتاج أيُّ جزء مِن هذا الكتاب بأيَّة وسيلة، سواء أكانت رسومية أو إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك النسخ الضوئي أو الكتابة أو التسجيل أو أي نظام لاستعادة تخزين المعلومات، دون إذن كتابي مِن المؤلِّف إلَّا في حالة الاقتباسات القصيرة الواردة في مقالات نقديَّة ومراجعات.

تمَّ اقتباس آيات الكتاب المقدَّس مِن ترجمة البستاني فانديك للكتاب المقدَّس.

تمَّت الطباعة في

Fatheroflove.info
Fatheroflove-arabic.com

تحميل الكتاب الصوتي

مايو 2020

هل سبق لك أنْ تسائلت؟ 4
الفصل 1. هل الأمر مُهِمٌ بالفعل؟ 6
الفصل 2. النموذج المثالي لحياتنا 8
الفصل 3. مصدر حياتنا 10
الفصل 4. مخلوقون على صورته 12
الفصل 5. المخادع الأعظم 14
الفصل 6. ما هي الخطيئة؟ 15
الفصل 7. لماذا هناك شيطان؟ 18
الفصل 8. الحيَّة المُهلِكة 23
الفصل 9. سبي أيُّوب 25
الفصل 10. لماذا نقرأ الكتاب المقدَّس؟ 29
الفصل 11. لماذا نسيء فهم الله؟ 31
الفصل 12. كيف يأتي الله بالهلاك؟ 34
الفصل 13. ما هو غضب الله؟ 36
الفصل 14. كيف يشنُّ الله الحروب؟ 45
الفصل 15. سدُّوم وعمُّورة 47
الفصل 16. ماذا عن الطوفان؟ 49
الفصل 17. شهادة الصليب 54
الفصل 18. ليس الله بطاغية 56
الفصل 19. خالقنا ورازقنا 62
الفصل 20. كيف ننال الحياة الأبديَّة؟ 66
الفصل 21. هل ينبغي أنْ نخاف مِن الدينونة؟ 71
الفصل 22. كيف تبدو دينونة الله؟ 78
الفصل 23. تواضُع الله 81
الفصل 24. الله خادم، وليس سيِّداً للعبيد 83
الفصل 25. الله يحبُّك محبَّة غير مشروطة 85
الفصل 26. ملكوت الله 87
الفصل 27. الله يعرض علينا الحرِّيَّة الحقيقيَّة 90
تلخيص 93

مقدِّمة

هل سبق لك أنْ تسائلت؟

يُشار في لغة القانون إلى الكارثة التي تنجم كلِّيَّاً عن قوى الطبيعة، والتي لا يمكن منعها بشكل معقول، على أنَّها قضاء وقدر. وغالباً ما يتمُّ تضمين هذه العبارة في بوالص التأمين. مِن أين حصلنا على فكرة أنَّ الله مسؤول عن الأمور السيِّئة التي تحدث في عالَمنا؟ هل يقرِّر بشكل تعسُّفي متى وأين تقع أحداث، مِثل الأعاصير والزلازل والفيضانات والكوارث الطبيعيَّة الأخرى؟ هل يقوم الله بشيء ما ليجعل هذه الأشياء تحدث؟ هل يتلاعب بالعالَم الطبيعي لتحقيق النتيجة المرجوَّة؟ ولماذا لا يفعل أكثر لمنع المعاناة مِن الحدوث في عالَمنا؟ أخيراً، هل كان الله مسؤولاً عن العنف الذي نقرأ عنه في الكتاب المقدَّس؟ هل لجأ إلى العنف هو بنفسه؟

يقدِّم الكتاب المقدَّس إجابات على هذه الأسئلة، لكنَّنا بحاجة إلى أنْ ننظر ما بين السطور للعثور عليها. نحتاج أيضاً إلى أنْ نكون مستعدِّين لسماع ما يقوله الله عن ذاته وكيف يعمل حتَّى لو كان ذلك يشكِّل تحدِّياً للمعتقدات التي لدينا بشأنه.

سوف يتناول هذا الكتاب بالدراسة صفات الله كما هي موضَّحة في الكتاب المقدَّس ــ ما يمتُّ بِصلة لأعماله، وعلى نفس القدر مِن الأهمِّيَّة، ما لا يمتُّ إليها بِصِلة. يعتقد الكثيرون أنَّ الله يُحبُّنا عندما نتبع قوانينه، ولكنْ يثور غضبه علينا بسبب أخطائنا ويعاقب الذين يخالفون أوامره. الغرض مِن هذه الدراسة هو أنْ نوضِّح مِن الكتاب المقدَّس أنَّ الله لم يتصرَّف مطلقاً باعتباره المُهلِك ولكنْ فقط على أساسه أنَّه الخالق والمُعيل والمُخلِّص.

وَأَمَّا الْحِكْمَةُ الَّتِي مِنْ فَوْقُ فَهِيَ أَوَّلاً طَاهِرَةٌ،
ثُمَّ مُسَالِمَةٌ، مُتَرَفِّقَةٌ، مُذْعِنَةٌ، مَمْلُوَّةٌ رَحْمَةً
وَأَثْمَارًا صَالِحَةً، عَدِيمَةُ الرَّيْبِ وَالرِّيَاءِ.

(يعقوب 3: 17).

1

هل الأمر مُهِمٌّ بالفعل؟

لماذا مِن المُهِمّ أنْ نعرف ماهيَّة الله؟ هل يهمُّ ما نفكِّر به تجاه الله؟ وهل يهمُّ أنْ نفكِّر بهذا الأمر مِن الأساس؟ تكمن الإجابات على هذه الأسئلة في صميم كلِّ ما يستحقُّ المعرفة. ما نؤمن به تجاه الله وصفاته يحدِّد صفاتنا ـ وصفاتنا هي أكثر قيمة مِن كلِّ الثراء المادِّي الذي يقدِّمه هذا العالَم.

قال يسوع، "أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يوحنَّا 10: 30). إنَّ الله الآب وابن الله كلاهما واحدٌ في القصد ـ واحدٌ في الصفات. والعلاقة التي تربط بينهما هي علاقة الوئام التامّ. يعلن كاتب الرسالة إلى العبرانيِّين أنَّ يسوع بالنسبة لله الآب هو"بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ" (عبرانيِّين 1: 3). إنَّ مجد الله هو أكثر مِن مجرَّد بهائه؛ إنَّه صفته. عندما طلب موسى مِن الله أنْ يريه مجده، مرَّ الله أمام موسى وصرَّح عن صفاته:

> فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدٌ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ» (سِفر الخروج 34: 6 – 7).

عندما نعرف الله كما هو بالحقيقة، هذا الأمر يجعلنا نتصالح معه. وهذه المعرفة تأتي بالشفاء وتمنح الحياة. اسمع ما قاله يسوع في صلاته لأبيه: "وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ" (يوحنَّا 17: 3). إنَّ يسوع، أظهر، بكلماته وحياته، ماهيَّة الله الآب. وقد قال، "الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لاَ يَقْدِرُ الابْنُ أَنْ يَعْمَلَ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا إِلاَّ مَا يَنْظُرُ الآبَ يَعْمَلُ. لأَنْ مَهْمَا عَمِلَ ذَاكَ فَهذَا يَعْمَلُهُ الابْنُ كَذلِكَ أيضًا" (يوحنَّا 5: 19).

عندما نعلم أنَّ الله دائم المحبَّة والرحمة، سوف ننجذب إليه بالمحبَّة والثقة. ويمكننا أنْ نتأكَّد مِن محبَّة الله وحُسن نيَّته تجاهنا في جميع الأوقات، لأنَّ طرقه لا تتغيَّر أبداً. يعلن الله في (ملاخي 3: 6)، "لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ". إنَّه لا يمكن أنْ يتبدَّل ويتغيَّر، كما نتبدَّل نحن. يمكننا أنْ نكون لطفاء ومحبِّين ونراعي الآخرين طالما نُعامَل بنزاهة واحترام، ولكنْ عندما نواجَه بالأذى، فإنَّنا نميل إلى الغضب والرغبة في الانتقام. لا يستجيب الله أبداً بالغضب ولا بالانتقام.

تؤكِّد كلمة الله أنَّ يسوع لا يتبدَّل، وأنَّ الآب كذلك أيضاً: "يَسُوعُ الْمَسِيحُ هُوَ هُوَ أَمْسًا وَالْيَوْمَ وَإِلَى الأَبَدِ" (عبرانيّين 13: 8). "كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ، الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ" (يعقوب 1: 17). تؤكِّد لنا هذه الكلمات أيضاً أنَّ إلهنا الرؤوف ليس له في صفاته جانب عنيف.

وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ،

مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا.

مِن أقوال يسوع (يوحنَّا 1: 14).

2

النموذج المثالي لحياتنا

يقدّم لنا يسوع في صميم العظة على الجبل النموذج المثالي لكيفية العيش في عالم عدائي:

> "سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ وَتُبْغِضُ عَدُوَّكَ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ، لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟ وَإِنْ سَلَّمْتُمْ عَلَى إِخْوَتِكُمْ فَقَطْ، فَأَيَّ فَضْلٍ تَصْنَعُونَ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ هكَذَا؟ فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ" (متّى 5: 43 – 48).

ماذا يعلّمنا هذا المقطع عن الله؟ يقول يسوع، " أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ"، ويتبعها قوله، "لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ"، ويختتم بقوله، "فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ ". إنَّ يسوع يطلب منَّا أنْ نعامل أعدائنا مثلما يعامل أبونا السماوي أعداءه. إنَّه يريدنا أنْ نفهم أنَّ المبادئ السامية التي وضعها أمامنا في العظة على الجبل لا يمكن تحقيقها إلّا عندما نراها صادرة عن الله ذاته.

نجد في حياة يسوع النموذج المثالي لكيفية التعامل مع أعدائنا، فهو لم ينتقم مِمَّن ظلموه. ولم يُظهر سوى الحبّ ابتداءً مِن لحظة خيانته واعتقاله وصولاً إلى صلبه، عندما طلب أنْ ينال مضطهدوه الغفران، حين قال: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا 23: 34).

عندما لم يلقَ يسوع الترحيب في قرية مِن قرى السامرة، ظنَّ تلميذاه يعقوب ويوحنَّا أنَّ تلك القرية كان يجب أنْ تُفنى بالنَّار: «يَارَبُّ، أَتُرِيدُ أَنْ نَقُولَ أَنْ تَنْزِلَ نَارٌ مِنَ السَّمَاءِ فَتُفْنِيَهُمْ، كَمَا فَعَلَ إِيلِيَّا أَيْضًا؟» فَالْتَفَتَ وَانْتَهَرَهُمَا وَقَالَ:«لَسْتُمَا تَعْلَمَانِ مِنْ أَيِّ رُوحٍ أَنْتُمَا! لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ» (لوقا 9: 54 – 56).

إنَّ أفضل طريقة لكي نعرف الله هي أنْ ندرس حياة يسوع، فهو لم يقتل أحداً أو يهدّده بذلك. إنَّ يسوع لم يؤذِ أحداً على الإطلاق. ولم يُطلق أحكام الإدانة على أحد. عندما طلب فيلبُّس مِن يسوع ــ بالنيابة عن التلاميذ ــ أنْ يُظهر لهم الآب، أجابه يسوع بالقول:

قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«أَنَا مَعَكُمْ زَمَانًا هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ، فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ: أَرِنَا الآبَ؟ أَلَسْتَ تُؤْمِنُ أَنِّي أَنَا فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ؟ اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ لَسْتُ أَتَكَلَّمُ بِهِ مِنْ نَفْسِي، لكِنَّ الآبَ الْحَالَّ فِيَّ هُوَ يَعْمَلُ الأَعْمَالَ. صَدِّقُونِي أَنِّي فِي الآبِ وَالآبَ فِيَّ، وَإِلاَّ فَصَدِّقُونِي لِسَبَبِ الأَعْمَالِ نَفْسِهَا» (يوحنَّا 14: 9 – 10).

وإذ نبدأ في دراسة تتحدَّى الوضع اللاهوتي القائم، دعونا نعقد العزم على أنْ نحتفظ بكلمات يسوع ومثاله الحيّ في مقدِّمة اهتماماتنا.

3

مصدر حياتنا

انطلاقاً مِن بعض الأسس الأوَّليَّة التي تؤكِّد حقيقة أنَّ الله مُحِبٌّ على الدوام، سوف ندرس أعمال الله المذكورة في الكتاب المقدَّس، والتي تبدو متناقضة مع المبادئ التي علَّمها يسوع. يعرض أمامنا سِفر النبي أشعياء نظرة عميقة على طرق الله وأفكاره:

«لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ» (إشعياء 55: 8 – 9).

إنَّ طرق الله وأفكاره هي أسمى – بلا حدود في الغرض والصفات – مِن طرقنا وأفكارنا. وهذه الحقيقة الحتميَّة عن الله يصعب علينا فهمها. فنحن، وسط تصميمنا على تبرير أنفسنا، نتخيَّل أنَّ الله يشبهنا. نحن نشعر بالغضب، لذلك نعتقد أنَّ الله لا بدَّ أنْ يغضب كما نغضب نحن. ونشعر بالهيجان الذي يدفعنا إلى الانتقام عندما يقع علينا ظلم، لذلك نعتقد أنَّ الله لا بدَّ أنَّ لديه التوجُّه نفسه عندما يُساء إليه. لكنَّ الله يُخبرنا بخلاف ذلك:

هذِهِ صَنَعْتَ وَسَكَتُّ. ظَنَنْتَ أَنِّي مِثْلُكَ. أُوَبِّخُكَ، وَأَصُفُّ خَطَايَاكَ أَمَامَ عَيْنَيْكَ (مزمور 50: 21).

عندما خلق الله عالَمنا، لم يكن قصده أنْ تسير شؤونه بمفرده. إنَّ عدم انخراط الله في عالمنا هو أمرٌ لا يتعارض مع قصده وحسب، بل أيضاً يعني أنَّ الحياة لا يمكن أنْ تستمرَّ على كوكبنا – "لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ" (أعمال الرسل 17: 28). إنَّ الله يُديم حياتنا مِن خلال كلِّ نَفَس نأخذه. الله هو رازق الحياة ومصدرها. ومع ذلك، هناك شيء واحد يمكن أنْ يفصلنا عنه – الخطيئة. ولكنْ ما هي الخطيئة؟ غالباً ما نفكِّر في الخطيئة على اعتبار أنَّها الأمور السيِّئة التي نقوم بها أو أنَّها أنْ نكسر وصايا الله. يعتقد الناس أنَّ الخطيئة يمكن قياسها بطريقة ما أو بأخرى، بمعنى أنَّ البعض منَّا لديهم كمِّيَّة كبيرة منها والبعض الآخر ليس لديهم سوى القليل منها، وهذا الفكر لا تدعمه تعاليم الكتاب المقدَّس. نتعلَّم مِن الكتاب المقدَّس أنَّ ما نقوم به مِن أعمال شرِّيرة هي أعراض عِلَّة متعمِّق الجذور ورثناها جميعاً عن أبوينا الأوَّلين. هذه العلَّة هي تصديق كذبة أنَّ الله يسعى وراء مصلحته الخاصَّة. إنَّ كذبة الشيطان هذه قد تمَّ توريثها للجنس البشري في جنَّة عدن، وقد شوَّهت تصوُّرنا عن الله منذ ذلك الحين.

عندما خلق الله آدم وحوَّاء وأسكنهما في الجنَّة، وضع عليهما قيداً واحداً لا غير:

> وَأَوْصَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ قَائِلاً: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلاً، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلاَ تَأْكُلْ مِنْهَا، لأَنَّكَ يَوْمَ تَأْكُلُ مِنْهَا مَوْتًا تَمُوتُ» (سِفر التكوين 2: 16 – 17).

مِن السهل أنْ نفهم لماذا وضع الله في الجنَّة "شجرة الحياة" (سِفر التكوين 2: 9)، لكنْ مِن الصعب علينا أنْ ندرك لماذا وضع "شجرة معرفة الخير والشرّ" في تلك البيئة الكاملة. قد نرى للوهلة الأولى أنَّ وجود تلك الشجرة، بالإضافة إلى التحذير مِن الأكل منها، كان دعوة لكي تقع الكارثة.

4

مخلوقون على صورته

إنَّنا نجد تراثنا في سِفر التكوين: "وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا...» فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ" (سِفر التكوين 1: 26 – 27). ما معنى أنْ يُعمل الإنسان على صورة الله، وما هي صورة الله؟ سنكتشف ما هي صورة الله عندما نجد تعريفاً يصف مَن يكون الله. نجد التعريف الدقيق في رسالة يوحنَّا الأولى 4: 8 "اللهَ مَحَبَّةٌ". لاحِظوا أنَّ الآية لا تقول فقط أنَّ "الله مُحِبٌّ"، كما لو كانت المحبَّة صفة مِن صفاته الكثيرة، لكنَّها تقول ببساطة أنَّ "الله مَحبَّة". إنَّ أيَّ شي آخر قد نعرفه عن الله ينبغي أنْ يكون منسجماً مع هذا التعريف. لذلك، تماماً كما أنَّ الله كامل، يمكننا أن نستنتج بشكل معقول أنَّ محبَّة الله لا بدَّ أنْ تكون كاملة أيضاً، دون أنْ تكون فيها ذرَّة مِن المصلحة الشخصيَّة. علاوة على ذلك، لا بدَّ أنْ تكون محبَّته غير خاضعة للتبدُّل لأنَّه هو أيضاً لا يتبدَّل.

إذا كنَّا مخلوقين على صورة الله، إذاً لا بدَّ أنْ يكون الله قد خلقنا لنختبر المحبَّة. الآن، نجد أنَّ المحبَّة، لتكون هي المحبَّة، لا يمكن أنْ تكون إلزاميَّة أو مفروضة بالإكراه بأيِّ حال مِن الأحوال. لا يمكن إلَّا أنْ تُعطى كخيارٍ حُرٍّ. يمكننا أنْ نفهم ذلك بسهولة إذا تخيَّلنا شخصاً متعطِّشاً للحبِّ، وهو يستقلُّ حافلة وبيده مسدَّس، ويطالب الركَّاب المهدَّدين بالقتل بأنْ يحبُّوه. هل تولِّد هذه الطريقة الحبَّ؟

لنفترض أنَّنا كنَّا سنجرِّب طريقة أقلَّ تشدُّداً للحصول على الحبِّ مِن خلال بناء روبوت تمَّت برمجته على أنْ ينطق قائلاً، "أحبُّك" عندما نقترب مِنه. هل سيُنتج هذا الأمر علاقة حُبّ مُرضِية وذات معنى؟ هذه الطرق التي ستفشل في تأمين الحبُّ لنا هل يمكنها أنْ تأتي بنتيجة مع الله؟

دعونا نعود إلى جنَّة عدن وتلك الشجرة المحرَّمة المُربِكة. لو لم يكن الله قد أنبتَ هذه الشجرة، فهل كان البشر سيقدرون على أنْ يُحبُّوا كما يحبُّ الله؟ إنَّ الحبَّ، لكي يكون حبَّاً، يتطلَّب أنْ يُوهب وهباً. ولكي يوهب الحبُّ بحرِّيَّة، ينبغي أنْ تكون لنا أيضاً الحرِّيَّة في ألَّا نُحِبّ. الحبُّ هو دائماً خَيار، ولا يمكن فرضه بالإكراه أو بإصدار الأوامر.

لو كان الله قد خلق أبوينا الأوَّلَين ووضعهما في الجنَّة دون أنْ يوفِّر لهما طريقة ملموسة يمكن مِن خلالها اختيار عدم الحبِّ وعدم الثقة به، لَما تمكَّنا مِن أنْ يُحبَّا كما يحبُّ الله ذاتُه. وتماماً كما أنَّ الله هو مصدر حياتنا، فهو أيضاً مصدر الحبّ الحقيقي، فالحياة والحبُّ لا ينفصلان.

وكوننا مخلوقين على صورة الله، فهذا يمنح كلَّ واحد منَّا القدرة على أنْ يصير صديقاً محبَّاً لخالِقنا.

إنَّ الله لم يضع على شجرة معرفة الخير والشرّ تقييداً يحظِّر الأكل مِن أغصانها ليكون اختباراً تعسُّفيَّاً يقيس مدى طاعتنا له، ولكنْ كتأكيد مِن جانبه على تقديره لحرّيَّتنا في الاختيار لدرجة عالية حتَّى أنَّه كان على استعداد لأنْ يتحمَّل مخاطرة تتيح لنا أنْ نختار التحوُّل بعيداً عنه. عندما نفهم السبب الذي جعل الله يضع الشجرة المحرَّمة في الجنَّة، فإنَّنا لن نتَّهمه بأنَّه ديكتاتور يخدم مصالحه الأنانيَّة. ولكنْ، كان هناك شخص واحد على استعداد لأنْ يتَّهم الله بهذا الأمر عينه.

5

المخادع الأعظم

وَكَانَتِ الْحَيَّةُ أَحْيَلَ جَمِيعِ حَيَوَانَاتِ الْبَرِّيَّةِ الَّتِي عَمِلَهَا الرَّبُّ الإِلهُ، فَقَالَتْ لِلْمَرْأَةِ: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ لِلْحَيَّةِ: «مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا» (سِفر التكوين 3: 1 – 5).

أوَّلاً، دعونا نحدِّد هويَّة هذه الحيَّة الناطقة. مَن تكون هذه الحيَّة؟ "فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ" (سِفر الرؤيا 12: 9). إنَّ حوَّاء لم تكن تتحدَّث فقط مع حيَّة ذكيَّة، بل كانت تتحدَّث مع الشيطان ــ المخادع الأعظم نفسه.

إنَّ الحيَّة ــ مِن خلال التلميح الخفي ــ اتَّهمت اللهَ بالكذب على آدم وحواء وإخفاء شيء جيِّد عنهما. وفوق ذلك كلِّه، إذا كان يرغبان بكلِّ بساطة أنْ يأكلا مِن ثمرها، فستنفتح أعينهما، وسيصيران "كالله، عارفَين الخير والشرّ". مَن اختارت المرأة أنْ تصدِّق، الله أم الشيطان؟

فَرَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّ الشَّجَرَةَ شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ. فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ. فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ. وَسَمِعَا صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ. فَنَادَى الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ وَقَالَ لَهُ: «أَيْنَ أَنْتَ؟» (سِفر التكوين 3: 6 – 9).

عندما أكل آدم وحوَّاء مِن الشجرة المحرَّمة، انفتحت أعينهما (أي حصلا على الوعي الذاتي)، وسَعَيا إلى الاختباء مِن وجه الربِّ. كيف استجاب الله؟ لقد جاء إليهما ليبحث عنهما. كانت كلماته الأولى، "أينَ أنت؟". لقد سعى إلى المُصالَحة مع أبنائه الذين صاروا مُبعَدين الآن.

لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يَطْلُبَ وَيُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ.

مِن أقوال يسوع (لوقا 19: 10).

6

ما هي الخطيئة؟

نعود الآن إلى السؤال: ما هي الخطيئة؟ لكي نعثر على التعريف الصحيح، مِن المُهِمّ أنْ نحدِّد أوَّلاً ما الخطأ الذي حدث عند "شجرة معرفة الخير والشرّ". نجد في سِفر التكوين 3: 6 أنَّ المرأة رأت في الشجرة ثلاث صفات مرغوبة:

1. "كانت الشجرة جيِّدة للأكل". في الظاهر قد يبدو هذا صحيحاً، لولا حقيقة كون الشجرة محرَّمة كمصدر للغذاء. المشكلة ليست في الثمرة نفسها، لكنَّ المرأة الآن كانت تنظر إليها على أنَّها جيِّدة.

2. كانت الشجرة "بَهِجة للعيون". كلُّ ما خلقه الله في الجنَّة كان كاملاً، وبالتالي ستكون الشجرة بالفعل "بَهِجة للعيون". ورأت المرأة في الشجرة ميزة أكثر جاذبيَّة.

3. "الشَّجَرَة شَهِيَّة لِلنَّظَرِ". حقَّاً؟ هل كانت لهذه الشجرة صفات روحانية غامضة؟ هل كانت الحيَّة مُحِقَّة؟ هل سيكون معرفة الإنسان بالخير والشرّ أمراً مرغوباً فيه؟ وما معنى معرفة الخير والشرّ؟ هل تعني مجرَّد الحصول على المعلومات؟

تُختتم الآية بالعبارة التالية، "فَأَخَذَتْ مِنْ ثَمَرِهَا وَأَكَلَتْ، وَأَعْطَتْ رَجُلَهَا أَيْضًا مَعَهَا فَأَكَلَ". وهي غالباً ما تُفهم على أنَّها إشارة إلى خطيئة الإنسانيَّة الأولى، ولكنْ ما هي الخطيئة؟ ما الذي حدث أوَّلاً، أكل الفاكهة أم تصديق كذبة الحيَّة عن الله؟

كانت المشكلة الأساسيَّة هي أنَّ حوَّاء صدَّقت كذبة الحيَّة بأنَّ الله كان يحجب عنهما شيئاً جيِّداً بأنانيَّة. إنَّ الخطيئة ليست مجرَّد ارتكاب الفعل نفسه، كما لو كانت الخطيئة مادَّة قابلة للقياس الكمِّيّ. الخطيئة، في جوهرها، هي حالة عقليَّة مَرَضيَّة تعتبر أنَّ الله متمركز حول ذاته، وبالتالي لا يمكن الوثوق فيه.

يمكن تشبيه الخطيئة بالمرض. فالمرض له سبب كامن، مثل العدوى البكتيريَّة، أو اضطراب استقلابي، أو خلل في الجهاز المناعي. هذه الأسباب الرئيسيَّة تؤدِّي إلى واحد أو أكثر مِن الأعراض التالية: الحمَّى والغثيان والألم والدوار والخمول، وهلمَّ جرَّاً. بالنسبة للخطيئة، السبب الرئيسي هو تصديق ما قيل كذباً عن الله، ونتيجة لذلك، عزل أنفسنا عن ذاك الذي ترتكز محبَّته في الآخر. إنَّ خطايانا الخارجيَّة (الأعراض) هي نتيجة لاعتقادنا بأنَّ الله لا

يكترث سوى لمصلحته الشخصيَّة (سبب المرض). لقد استخدم يسوع، في حديثه مع الكتبة والفرّيسيين، هذا التشبيه الذي يصوّر الخطيئة كمرضٍ يحتاج إلى الشفاء:

> وَأَمَّا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ فَلَمَّا رَأَوْهُ يَأْكُلُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ، قَالُوا لِتَلاَمِيذِهِ:«مَا بَالُهُ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ مَعَ الْعَشَّارِينَ وَالْخُطَاةِ؟» فَلَمَّا سَمِعَ يَسُوعُ قَالَ لَهُمْ: «لاَ يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى. لَمْ آتِ لأَدْعُوَ أَبْرَارًا بَلْ خُطَاةً إِلَى التَّوْبَةِ» (مرقس 2: 16 – 17).

إنَّ الخطيئة تسبّب الموت لأنَّها تفصلنا عن الله، الذي هو مصدر كلّ حياة. في هذا الانفصال الذي يحدث، لا يكون الله أبداً هو الذي يفصل ذاته عنَّا، بل نحن دائماً مَن نفصل أنفسنا عنه. لقد خاف آدم وحواء مِن الله بدلاً مِن أنْ يخافا مِن الشيطان الذي كان ينبغي عليهما الخوف منه. يقول الكتاب المقدَّس عنهما بعدما أكلا الثمرة، "فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ" (سِفر التكوين 3: 8). ومنذ ذلك اليوم ونحن نختبئ مِن الله الرؤوف.

يحسن بنا أنْ نلاحظ أنَّه عندما حذَّر الله آدم وحوَّاء مِن الأكل مِن الشجرة المحرَّمة، لم يقل ما يلي، "لأنَّك يوم تأكل منها سوف أقتلك"، بل قال: "لأنَّك يوم تأكل منها موتاً تموت". عندما أكل الرجل وزوجته مِن الشجرة، بدأت تتمُّ فيهما عمليَّة الموت في ذلك اليوم بالذات عندما انفصلا عن مصدر حياتهما. إنَّ الخطيئة (تصديق كذبة أنَّ الله أناني وغير جدير بالثقة) هي التي تسبّب الموت، وليس الله: "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رومية 6: 23). إنَّ الله ليس مشتركاً في هذا المجال، أي مجال الخطيئة، وهو لا يدفع أجرة الخطيئة.

مِن الواضح أيضاً أنَّه عندما أكل آدم وحوَّاء مِن ثمار الشجرة المحرَّمة، فقد حصلا على أكثر بكثير مِن مجرَّد معرفة عقليَّة بالخير والشرّ. لقد ألزما نفسيهما عن غير قصد بأنْ يجرّبا معرفة الخير والشرّ، وجرَّا معهما أولادهما. وهذا يعني أنَّهما وأولادهما لن يعرفوا الشرَّ وحسب، بل سوف يفكّرون أفكار الشرّ ويعيشون حياة شرّيرة ويقعون في عبوديَّة الشرّ، ونتيجة ذلك سوف يعرفون الألم والمعاناة والخوف والموت.

لم يكن البشر وحدهم مَن لاقى المعاناة مِن العواقب الحتميَّة التي جلبتها الخطيئة معها عندما دخلت إلى عالَمنا. فالطبيعة بأسرها تأثَّرت بكلّ التنافر الذي حلَّ نتيجة خطيئة آدم وحوَّاء: "فَإِنَّنَا نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْخَلِيقَةِ تَئِنُّ وَتَتَمَخَّضُ مَعًا إِلَى الآنَ" (رومية 8: 22). وأصبحت الأرض مكاناً يشكّل خطراً على البشر والحيوانات على حدٍّ سواء. لقد تعرَّضت الأرض ــ منذ الفيضان الذي حدث أيَّام نوح ــ إلى طقس عنيف وزلازل وبراكين وغيرها مِن قوى الطبيعة

الكارثيَّة. إنَّ القوى العنيفة التي نشهدها في الطبيعة لا تخرج مِن عند الله. إنَّها موجودة فقط لأنَّنا جعلنا الله بعيداً عنَّا.

7

لماذا هناك شيطان؟

لقد تمَّت الإشارة فيما سبق إلى كائن روحي بالمعنى الحرفي للكلمة ومقاوِم لله. يُشار في الكتاب المقدَّس إلى هذا الكائن بأسماء متعدِّدة: الشيطان وإبليس والحيَّة ولوياثان ولوسيفر، بالإضافة إلى العديد مِن الألقاب الأخرى.

إنَّ نسبة الناس الذين يؤمنون ــ في الحضارة الغربية اليوم ــ بالشيطان الحرفي هي أقلُّ بكثير مِن نسبتهم قبل مائتي عام مضت. وغالباً ما يُنفى الشيطان في ثقافتنا الحديثة إلى عالم الجهل والخرافات. وإذ نأخذ هذه الفكرة بالحسبان ولكي نجيب على السؤال المطروح، سوف نفحص رواية التوراة المتعلِّقة بالشيطان (الخصم).

يعرِّف الكتاب المقدَّس الشيطان باعتباره ملاكاً ساقطاً. يشير مصطلح (ساقط) إلى أنَّ الشيطان كان في الأصل كائناً بلا خطيئة، لكنَّه اختار التمرُّد على خالقه. وبالنظر إلى كمال السماء، يبقى سبب تمرَّده على الله لغزاً مبهماً. على ما يبدو، كان المنصب الذي شغله يحظى بالكرامة والتأثير بين أوساط الملائكة. وفي مرحلة ما نبتت فيه بذرة مِن الكبرياء وترعرت، بحيث أدَّى ذلك إلى شعوره بعدم الرضا عن مكانته في السماء. وهذا الأمر بلغ أوجَهُ في نهاية المطاف على شكل ثورة علنيَّة مفتوحة ضدَّ الله.

لم يكن الشيطان وحيداً في تمرُّده ذاك، حيث استطاع الحصول على الدعم مِن العديد مِن الملائكة الآخرين، على الرغم مِن أنَّ معظم الملائكة اختاروا أنْ يظلُّوا مُخلصين لله. ولم تكن الحرب التي نشبت بسبب تمرُّد الشيطان وأتباعه تتضمَّن استعمال أسلحة مادِّيَّة، مِثل تلك المستخدمة في الصراعات التي تدور في هذا العالَم. لقد انتصر الله في هذه الحرب السماويَّة مِن خلال استخدام الحبِّ في مقابل الأنانية، والحقّ في مقابل الخداع، والشفافيَّة في مقابل السرّيَّة، والمنطق في مقابل اللاعقلانية، والصبر في مقابل اليأس، والثقة في مقابل الشكِّ.

مِن المعقول أنْ نصدِّق أنَّ الأساليب التي استخدمها الشيطان مع حوَّاء في جنَّة عدن ليتسبَّب بإبعادها عن الله كانت هي نفسها التي مارسها مِن قَبل ليكسب أتباعاً يناصرون قضيَّته في السماء. وإلى ذلك الحين لم يكن قد طُرِح أبداً أيُّ تساؤل أمام الملائكة السماويّين بخصوص عدالة الله. لم يكن لديهم أيَّة وسيلة ليتأكَّدوا ــ على نحو مطلق ــ مِن أنَّ اتِّهامات الشيطان لله كانت تحمل أيَّة مصداقيَّة أم لا. ولهذا السبب، أعطِي الشيطان الفرصة لإظهار أسلوبه في الحُكم.

قد نتساءل لماذا لم يقضِ الله على خصمه في بداية التمرُّد. أما كان ذلك سيمنع تصعيد التمرُّد؟ لا، فهذا كان مِن شأنه أنْ يؤكِّد للملائكة حقيقة مفادها أنَّ الاتِّهامات التي وجَّهها الشيطان ضدَّ الله كانت صحيحة. لو أنَّ الله كان قد قضى على الشيطان، فإنَّ الفعل ذاته كان سيتنافى مع الحرِّيَّة، ممَّا سيجعلها فكرة مثاليَّة خالية مِن أيِّ مضمون. هناك شيء آخر إلى جانب هذا الأمر. لكي تكون دراستنا للكتاب المقدَّس متجانسة ومترابطة في مختلف أجزائها، فإنَّ ثِقل الأدلَّة يشير إلى أنَّ الله لا يُهلِك أبداً، بل الخطيئة هي التي تقوم بذلك. في نهاية المطاف سيتمُّ إهلاك الشيطان. وهذا الهلاك لن يأتي مِن الله، ولكنْ مِن خطيئة الشيطان نفسه:

> وَكَانَ إِلَيَّ كَلاَمُ الرَّبِّ قَائِلًا: «يَا ابْنَ آدَمَ، ارْفَعْ مَرْثَاةً عَلَى مَلِكِ صُورَ وَقُلْ لَهُ: هكَذَا قَالَ السَّيِّدُ الرَّبُّ: أَنْتَ خَاتِمُ الْكَمَالِ، مَلآنٌ حِكْمَةً وَكَامِلُ الْجَمَالِ. كُنْتَ فِي عَدْنٍ جَنَّةِ اللهِ. كُلُّ حَجَرٍ كَرِيمٍ سِتَارَتُكَ، عَقِيقٌ أَحْمَرُ وَيَاقُوتٌ أَصْفَرُ وَعَقِيقٌ أَبْيَضُ وَزَبَرْجَدٌ وَجَزْعٌ وَيَشْبٌ وَيَاقُوتٌ أَزْرَقُ وَبَهْرَمَانُ وَزُمُرُّدٌ وَذَهَبٌ. أَنْشَأُوا فِيكَ صَنْعَةَ صِيغَةِ الْفُصُوصِ وَتَرْصِيعِهَا يَوْمَ خُلِقْتَ. أَنْتَ الْكَرُوبُ الْمُنْبَسِطُ الْمُظَلِّلُ، وَأَقَمْتُكَ. عَلَى جَبَلِ اللهِ الْمُقَدَّسِ كُنْتَ. بَيْنَ حِجَارَةِ النَّارِ تَمَشَّيْتَ. أَنْتَ كَامِلٌ فِي طُرُقِكَ مِنْ يَوْمَ خُلِقْتَ حَتَّى وُجِدَ فِيكَ إِثْمٌ. بِكَثْرَةِ تِجَارَتِكَ مَلأُوا جَوْفَكَ ظُلْمًا فَأَخْطَأْتَ. فَأَطْرَحُكَ مِنْ جَبَلِ اللهِ وَأُبِيدُكَ أَيُّهَا الْكَرُوبُ الْمُظَلِّلُ مِنْ بَيْنِ حِجَارَةِ النَّارِ. قَدِ ارْتَفَعَ قَلْبُكَ لِبَهْجَتِكَ. أَفْسَدْتَ حِكْمَتَكَ لأَجْلِ بَهَائِكَ. سَأَطْرَحُكَ إِلَى الأَرْضِ، وَأَجْعَلُكَ أَمَامَ الْمُلُوكِ لِيَنْظُرُوا إِلَيْكَ. قَدْ نَجَّسْتَ مَقَادِسَكَ بِكَثْرَةِ آثَامِكَ بِظُلْمِ تِجَارَتِكَ، فَأُخْرِجُ نَارًا مِنْ وَسْطِكَ فَتَأْكُلُكَ، وَأُصَيِّرُكَ رَمَادًا عَلَى الأَرْضِ أَمَامَ عَيْنَيْ كُلِّ مَنْ يَرَاكَ. فَيَتَحَيَّرُ مِنْكَ جَمِيعُ الَّذِينَ يَعْرِفُونَكَ بَيْنَ الشُّعُوبِ، وَتَكُونُ أَهْوَالاً وَلاَ تُوجَدُ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ» (حزقيال 28: 11 – 19).

إنَّ مَلك صور يرمز بشكل ملائم إلى الشيطان في هذا السرد. لقد خُلِق الشيطان كاملاً، دون أن يكون فيه أيُّ أثر للكبرياء أو الأنانية. وسقوطه مِن الكمال كان مِن صنع يديه هو، وليس له مِن عذر يعفيه مِن المنهج الذي اتَّخذه. وراح يتباهى بجماله. إنَّ "النار" التي ستدمِّر الشيطان لن تأتي مِن مصدر خارجيّ؛ بل ستأتي مِن داخل الشيطان نفسه. هذه النار هي أنانيَّته. هذه النار الخارجة مِن ذاته هي التي ستلتهمه. سوف يتوقَّف الشيطان عن أنْ يكون موجوداً – "وَلاَ تُوجَدُ بَعْدُ إِلَى الأَبَدِ".

> كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ، بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَاوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ (إشعياء 14: 12 – 14).

لقد سقط لوسيفر (لقب الشيطان الأصلي) لأنَّه سعى إلى تمجيد ذاته. علَّم يسوع أتباعَه قائلاً، "فَمَنْ يَرْفَعْ نَفْسَهُ يَتَّضِعْ، وَمَنْ يَضَعْ نَفْسَهُ يَرْتَفِعْ" (متَّى 23: 12). لقد جلب لوسيفر الذلَّ والهوان على نفسه. وكلماته "أصير مثل العليّ" هي خيانة للحقّ، إذ كان يطمع فقط في الوصول إلى مكانة الله، ولم يكن يهتمّ في أنْ تكون صفاته تعبيراً عن صفات الله (وهي الطريقة الوحيدة التي يمكن مِن خلالها للمخلوق أنْ يصير مِثل الله).

عندما ننظر في هذا المقطع، يجدر بنا أنْ نشير أيضاً إلى أنَّ الأفكار التي تُطرَح عن الله هي أفكار لوسيفر، وليست وصفًا دقيقًا لدوافع الله. إنَّ لوسيفر، بسبب هوسه بتعظيم ذاته، تخيَّل أنَّ لله ذلك الدافع الأناني نفسه.

> وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ. وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي السَّمَاءِ. فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ (سِفر الرؤيا 12: 7 – 9).

يوثِّق هذا المقطع الحرب الدائرة في السماء، حيث بدأ الشيطان عمل الخداع. لم يقتصر عمله على رُكنٍ صغير مِن كوكبنا؛ لقد خدع "العالَم كلّه".

> فَقَالَ لَهُمْ: رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ (لوقا 10: 18).

يتحدَّث يسوع هنا عن سرعة سقوط الشيطان وتحوُّله مِن الولاء إلى التمرُّد.

> لأَنَّنَا صِرْنَا مَنْظَرًا لِلْعَالَمِ، لِلْمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ (كورنثوس الأولى 4: 9).

> الَّذِينَ أُعْلِنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ لَيْسَ لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لَنَا كَانُوا يَخْدِمُونَ بِهذِهِ الأُمُورِ الَّتِي أُخْبِرْتُمْ بِهَا أَنْتُمُ الآنَ، بِوَاسِطَةِ الَّذِينَ بَشَّرُوكُمْ فِي الرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُرْسَلِ مِنَ السَّمَاءِ. الَّتِي تَشْتَهِي الْمَلاَئِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا (بطرس الأولى 1: 12).

عندما تمرَّد الشيطان في السماء وجرَّ معه عدداً مِن الملائكة، لم يفهم ما تبقَّى مِن الملائكة الأمناء ما الذي كان يحدث ولماذا. إنَّ رسالة الإنجيل هي لهم، كما هي لنا، وهم مهتمُّون بشكل كبير بجهود الله المبذولة على هذه الأرض، وهي جهود تتَّسم بنكران الذات لإنقاذ البشرية مِن أنْ تدمِّر نفسها. "الإنجيل الأبديّ" (سِفر الرؤيا 14: 6) هو التأكيد على أنَّ الكون سيكون آمنًا إلى الأبد

مِن أيّ تشكيك في مصداقية الله: "مَاذَا تَفْتَكِرُونَ عَلَى الرَّبِّ؟ هُوَ صَانِعٌ هَلاَكًا تَامًّا. لاَ يَقُومُ الضِّيقُ مَرَّتَيْنِ" (ناحوم 1: 9).

ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ. فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا. فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ:«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا». فَأَجَابَ وَقَالَ:«مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ كَلِمَةٍ تَخْرُجُ مِنْ فَمِ اللهِ». ثُمَّ أَخَذَهُ إِبْلِيسُ إِلَى الْمَدِينَةِ الْمُقَدَّسَةِ، وَأَوْقَفَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ، وَقَالَ لَهُ:«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«مَكْتُوبٌ أَيْضًا: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ». ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: «أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي». حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ:«اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ». ثُمَّ تَرَكَهُ إِبْلِيسُ، وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ (متَّى 4: 1 – 11).

لقد جاء الشيطان إلى يسوع على أساس أنَّه، أي الشيطان، هو المُجرِّب. وكان هدفه الظاهري هو أنْ يقطع ثقة يسوع بأبيه واتِّكاله عليه. وتمكَّن الشيطان مِن النجاح باستخدام نهج مماثل للنهج الذي اتَّبعه مع حوَّاء في جنَّة عدن. كان الشيطان عازماً على أنْ يُحبِط هدف يسوع المتمثِّل في المجيء إلى هذا العالَم لإنقاذ البشريَّة، وذلك عن طريق إغرائه بأنْ يستخدم قدرته الإلهيَّة لمنفعته الشخصيَّة. كان المُخادِع يستميت محاولاً أنْ يعيق نجاح يسوع في إرساليَّته، وهي الإعلان عن محبَّة الله المضحِّية، وهذا ما سيفضح الشيطان ويُظهر أنَّه الكذَّاب الذي هو في حقيقة الأمر.

عرض الشيطان على يسوع ـ في إحدى تجاربه ـ "ممالك العالَم" في حال جثا يسوع وسجد له. مِن الجدير أنْ نلاحظ أنَّ يسوع لم يناقش الشيطان في ما كان يطلب مِن سلطان على "ممالك العالَم". عندما خلق الله البشر في البداية، أعطى الجنسَ البشريَّ سلطاناً "عَلَى كُلِّ الأَرْضِ" (سِفر التكوين 1: 26). ولكنْ، عندما صدَّق آدم وحوَّاء كذبة الشيطان حول خالقهما، فقد سلَّما في حقيقة الأمر ذلك السلطان للشيطان. نرى في "ممالك العالَم" الخداع والقمع والإكراه وعدم المساواة. أمَّا في ملكوت الله، فلا إكراه في أيِّ وقت أو تحت أيِّ ظرف مِن الظروف. لا تشابه بين مملكته وممالك هذا العالَم التي تعتمد على سُلطة القانون، لا على قانون المحبَّة.

لاَ أَتَكَلَّمُ أَيْضًا مَعَكُمْ كَثِيرًا، لأَنَّ رَئِيسَ هذَا الْعَالَمِ يَأْتِي وَلَيْسَ لَهُ فِيَّ شَيْءٌ (يوحنَّا 14: 30).

يؤكِّد يسوع أنَّ الشيطان هو "رئيس هذا العالَم". عندما ننكر وجود الشيطان وتأثيره الواسع على كوكبنا، فإنَّنا نلوم الله على معاناتنا مِن دون قصد.

> اُصْحُوا وَاسْهَرُوا. لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ (بطرس الأولى 5: 8).

إنَّ خصمنا هو الشيطان، وليس الله.

> الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ (أفسس 6: 11 – 12).

عندما ندرك أنَّنا جميعنا ضحايا الخداع الذي فُرِض على الجنس البشري بخصوص الله، فإنَّنا لن ننظر إلى الآخرين على أنَّهم أعداؤنا، بل على أنَّهم وقعوا مثلنا ضحايا لهذا الخداع الهائل.

> وَلَهَا مَلاَكُ الْهَاوِيَةِ مَلِكًا عَلَيْهَا، اسْمُهُ بِالْعِبْرَانِيَّةِ «أَبَدُّونَ»، وَلَهُ بِالْيُونَانِيَّةِ اسْمُ «أَبُولِّيُونَ» (سِفر الرؤيا 9: 11).

يشير "ملاك الهاوية" إلى الشيطان. والاسم (أبوليون) الذي أطلِق عليه هنا يعني المدمِّر في اليونانية. الشيطان هو المدمِّر المُهلِك. فهل سيكون هناك ما يبرِّر أنْ نطلق هذا اللقب بالفعل على إلهنا الرؤوف؟

> اَلسَّارِقُ لاَ يَأْتِي إِلاَّ لِيَسْرِقَ وَيَذْبَحَ وَيُهْلِكَ، وَأَمَّا أَنَا فَقَدْ أَتَيْتُ لِتَكُونَ لَهُمْ حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَهُمْ أَفْضَلُ.
>
> مِن أقوال يسوع (يوحنَّا 10: 10).

8

الحيَّة المُهلِكة

يبدو أنَّ الضربات التي أرسلها الله على المصريّين هي مِن أكثر أعمال التدمير التي قام بها الله عن قصد. ويبدو أنَّه لا توجد طريقة أخرى لتفسير تلك الأحداث الواردة في الكتاب المقدَّس. لكنْ، تذكَّروا الآية التي قرأناها سابقاً: "لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ" (إشعياء 55: 8).

كلَّف الله موسى بقيادة بني إسرائيل مِن العبوديَّة في مصر إلى الحرِّيَّة. كان عليه أنْ يمثل أمام فرعون ليحذِّره مِن الكوارث التي كانت على وشك أنْ تقع على بلاده. عندما التقى الله بموسى في البرِّيَّة، أعطاه درساً عملِيّاً كان موسى وهارون سيعرضانه أمام فرعون في وقت لاحق، وكان ذلك الدرس سيُظهِر للحاكم بالضبط دور الله في الأحداث الكارثيَّة القادمة:

> فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَا هذِهِ فِي يَدِكَ؟» فَقَالَ: «عَصًا» فَقَالَ: «اطْرَحْهَا إِلَى الأَرْضِ». فَطَرَحَهَا إِلَى الأَرْضِ فَصَارَتْ حَيَّةً، فَهَرَبَ مُوسَى مِنْهَا. ثُمَّ قَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «مُدَّ يَدَكَ وَأَمْسِكْ بِذَنَبِهَا». فَمَدَّ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ، فَصَارَتْ عَصًا فِي يَدِهِ (سِفر الخروج 4: 2 – 4).

> وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ...وَهُوَ يُكَلِّمُ الشَّعْبَ عَنْكَ. وَهُوَ يَكُونُ لَكَ فَمًا، وَأَنْتَ تَكُونُ لَهُ إِلهًا. وَتَأْخُذُ فِي يَدِكَ هذِهِ الْعَصَا الَّتِي تَصْنَعُ بِهَا الآيَاتِ» (سِفر الخروج 4: 14، 16 – 17).

كان على موسى أنْ يذهب إلى فرعون على أساس أنَّه، أي موسى، يمثِّل الله. وكان قصد الله مِن وسيلة الإيضاح هذه أنْ تكون أكثر مِن مجرَّد استعراض للقوَّة. لقد كانت دليلاً للتعرُّف على المُهلِك الحقيقي. عندما أمسك موسى ــ بصفته نائباً عن الله ــ العصا في يده، كانت ترمز إلى قوى الطبيعة التي تخضع لسيطرة الله. وما كان مِن الممكن أنْ يلحق الضرر بمصر طالما كانت يد الله الحامية تعيق قوى الطبيعة المدمِّرة. عندما ألقى موسى العصا، صارت حيَّة، رمز الشرّ والدمار. وهذا يرمز إلى قوى الطبيعة التي تخرج عن سيطرة الله، وتقع تحت سيطرة الشيطان ــ المُهلِك.

كان هناك تدبير أفضل بكثير لبني إسرائيل قبْلَ موسى بمئات السنين وبعد أنْ قام يوسف (الذي باعه إخوته غير الأشقَّاء ليصير عبداً) بتفسير أحلام فرعون المُزعِجة. رفع فرعون

يوسف إلى منزلة مِن الكرامة والاحترام نظراً لتفسيره للأحلام النبويَّة وفطنته في تهيئة الأمَّة وإعدادها لمواجهة مجاعة دامت سبع سنوات. لاقت أسرة يوسف الترحيب الحارّ. أعرب المصريُّون عن تقديرهم ليوسف وللإله الذي كان يعبده. كان الله قادراً على أنْ يبارك الأمَّة بوفرة وغنى. وبعد سنوات عديدة مِن موت يوسف نسيه المصريُّون ونسوا إلهه، واستعبدوا بني إسرائيل الذين ازدهروا وتكاثروا في الأرض. كان المصريُّون، بأفعالهم هذه، يرسلون رسالة مفادها أنَّهم لم يكونوا يطلبون حضور الله في وسطهم. كانت لديهم آلهتهم الخاصَّة، ولم يكونوا يرغبون في الاعتراف بإله عبيدهم. وبالتالي، لم يكن مِن الممكن أنْ يستمرَّ الله بأنْ يغمرهم بقدر كامل مِن البَركة والحماية بينما كان يسمح في نفس الوقت للمصريِّين بحرِّيَّة الانفصال عنه.

لو كان فرعون ــ في أيِّ وقت بعد بدء الضربات ــ قد تحوَّل مِن نهج التحدِّي الذي اتَّخذه وترك بني إسرائيل يرحلون، لكان الله سيسيطر على قوى الطبيعة مرَّة أخرى، ولكانت ستنتهي الضربات. لكنَّ الحاكم العنيد لم يفعل ذلك، وتُركت مصر في حالة خراب. يتَّضح دور الله في ضربات مصر عندما نأخذ في الاعتبار الرسالة الرمزية التي قدَّمها الله مِن خلال العصا والحيَّة.

يمكننا العثور في سفر ملوك الأوَّل على دعم إضافي يبرِّئ الله مِن تهمة إلحاقه الدمار مِن خلال عناصر الطبيعة. كانت خدمة النبي إيليَّا في الحضيض، وكان مختبئًا في كهف مِن الملكة إيزابل التي هدَّدت بإنهاء حياته. جاء الله إلى نبيِّه الهارب، وكلَّمه قائلاً:

> «مَا لَكَ ههُنَا يَا إِيلِيَّا؟» فَقَالَ: «قَدْ غِرْتُ غَيْرَةً لِلرَّبِّ إِلهِ الْجُنُودِ، لأَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ تَرَكُوا عَهْدَكَ، وَنَقَضُوا مَذَابِحَكَ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَكَ بِالسَّيْفِ، فَبَقِيتُ أَنَا وَحْدِي، وَهُمْ يَطْلُبُونَ نَفْسِي لِيَأْخُذُوهَا». فَقَالَ: «اخْرُجْ وَقِفْ عَلَى الْجَبَلِ أَمَامَ الرَّبِّ». وَإِذَا بِالرَّبِّ عَابِرٌ وَرِيحٌ عَظِيمَةٌ وَشَدِيدَةٌ قَدْ شَقَّتِ الْجِبَالَ وَكَسَّرَتِ الصُّخُورَ أَمَامَ الرَّبِّ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الرِّيحِ. وَبَعْدَ الرِّيحِ زَلْزَلَةٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي الزَّلْزَلَةِ. وَبَعْدَ الزَّلْزَلَةِ نَارٌ، وَلَمْ يَكُنِ الرَّبُّ فِي النَّارِ. وَبَعْدَ النَّارِ صَوْتٌ مُنْخَفِضٌ خَفِيفٌ (ملوك الأوَّل 19: 9 – 12).

إنَّ إلهنا الرؤوف ما يزال يتحدَّث بصوت خفيف منخفض.

9

سبي أيُّوب

يقدِّم سِفر أيُّوب دليلاً واضحاً على دور الشيطان في إحداث أعمال المعاناة والخراب. كما يقدِّم لنا لمحة مِن وراء الكواليس عن المعركة الروحيَّة الدائرة بين الله وقوى الشرّ. إنَّ أيُّوب، وهو "رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ" (أيُّوب 1: 8)، وَجَد نفْسه عالقاً وسط تبادل لإطلاق النار في منعطف حرج مِن هذه المعركة الروحيَّة:

> وَكَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَنَّهُ جَاءَ بَنُو اللهِ لِيَمْثُلُوا أَمَامَ الرَّبِّ، وَجَاءَ الشَّيْطَانُ أَيْضًا فِي وَسْطِهِمْ. فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنَ أَيْنَ جِئْتَ؟». فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا». فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هَلْ جَعَلْتَ قَلْبَكَ عَلَى عَبْدِي أَيُّوبَ؟ لأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلُهُ فِي الأَرْضِ. رَجُلٌ كَامِلٌ وَمُسْتَقِيمٌ، يَتَّقِي اللهَ وَيَحِيدُ عَنِ الشَّرِّ». فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «هَلْ مَجَّانًا يَتَّقِي أَيُّوبُ اللهَ؟ أَلَيْسَ أَنَّكَ سَيَّجْتَ حَوْلَهُ وَحَوْلَ بَيْتِهِ وَحَوْلَ كُلِّ مَا لَهُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ؟ بَارَكْتَ أَعْمَالَ يَدَيْهِ فَانْتَشَرَتْ مَوَاشِيهِ فِي الأَرْضِ. وَلكِنِ ابْسِطْ يَدَكَ الآنَ وَمَسَّ كُلَّ مَا لَهُ، فَإِنَّهُ فِي وَجْهِكَ يُجَدِّفُ عَلَيْكَ». فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «هُوَذَا كُلُّ مَا لَهُ فِي يَدِكَ، وَإِنَّمَا إِلَيهِ لاَ تَمُدَّ يَدَكَ». ثُمَّ خَرَجَ الشَّيْطَانُ مِنْ أَمَامِ وَجْهِ الرَّبِّ (أيُّوب 1: 6 – 12).

شرعَ الشيطان على الفور في تدمير كلّ شيء كان لدى أيُّوب، بما في ذلك إهلاك أبنائه وبناته. ومِن خلال الدمار الذي حدث بعد ذلك، لجأ الشيطان إلى استخدام الأعداء الغزاة، وهُم "السَّبَئِيُّونَ" (الآية 15) وَ"الكلدانيُّون" (الآية 17)، وَ "نار الله ... مِن السماء" (الآية 16)، وَ "ريح شديدة جاءت مِن عبر القَفر" (الآية 19).

في حين يتَّضح في سفر أيُّوب مَن يكون المُهلِك، ما يزال العديد مِن قرَّاء هذا السِّفر يشعرون بالقلق مِن معاناة أيُّوب، والسبب هو الافتراض المغلوط القائل بأنَّ الله سمح للشيطان بأنْ يبتلي أيُّوب. الفكرة هي أنَّ الله، باعتباره قويَّاً قديراً، كان ينبغي عليه أنْ يمنع هجوم الشيطان على أيُّوب. ومع ذلك، لم تكن قدرة الله على الإطلاق هي القضيَّة الهامَّة الموضوعة على المحكّ هنا؛ فالقضيَّة لطالما كانت وستظلُّ دائماً تدور حول مبادئ الله في الحكم، فهل سيكون الله منسجماً مع مبادئه عندما يمنح الحرّيَّة لكائناته الذكيَّة المخلوقة؟ إنَّ الحرّيَّة، لكي تكون هي الحرّيَّة، ينبغي أنْ تكون غير قابلة للإلغاء ولا رجوع عنها؛ ممَّا يعني أنَّه لا يمكن تبديلها ولا يمكن استرجاعها ـ بِغضِّ النظر عن الظروف.

وفي حالة أيُّوب، كان هناك شيء آخر على المِحكّ بالإضافة إلى سمعة الله ــ ألا وهو كوكبنا. كان الشيطان يخطِّط للاستيلاء على عالَمنا (وهو أرض احتلَّها العدوّ) لتكون مملكته الخاضعة لسيادته: "فَقَالَ الرَّبُّ لِلشَّيْطَانِ: «مِنَ أَيْنَ جِئْتَ؟». فَأَجَابَ الشَّيْطَانُ الرَّبَّ وَقَالَ: «مِنْ الْجَوَلاَنِ فِي الأَرْضِ، وَمِنَ التَّمَشِّي فِيهَا»" (أيُّوب 1: 7).

إذا سمحنا لأنفسنا بأنْ نقرأ ما بين السطور بعناية، سنجد أنَّ الشيطان كان في الحقيقة يقول لله، "لقد كنتُ أتجوَّل في الأرض كلِّها، ويبدو أنَّني أحظى بدعم بالإجماع لقضيَّتي؛ إنَّني أطالب بحقِّي في حكم الأرض حكماً مطلقاً". وطيلة الأحداث الدراميَّة التي تلت ذلك، بقي الله متقدِّماً بخطوة على الشيطان ــ كان الله يعرف خادمه الواثق المُتَّكِل. ظلَّ أيُّوب مُخلِصاً لله على الرغم مِن أنَّه كان يقاسي ثاني أشدَّ هجوم شيطاني سجَّله الكتاب المقدس. في نهاية المطاف، حافظ الله على حياة أيُّوب، "وَرَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ أَيُّوبَ لَمَّا صَلَّى لأَجْلِ أَصْحَابِهِ" (أيُّوب 42: 10)، الذين كانوا في الواقع في وضع أكثر خطورة مِن وضع أيُّوب نفسه، فهُم لم يكونوا يعرفون الله.

يعطينا سِفر أيُّوب نظرة ثاقبة حول المعركة الروحيَّة التي تدور رحاها حتَّى يومنا هذا بين الله وقوى الظلام. عندما نكون قادرين على تصوُّر شيء مِن التفاعل المعقَّد والصعب الفهم بين الرغبات الحرَّة المتعدِّدة، وهذا التفاعل يراه الله بوضوح، عندئذ سنبدأ في تقدير حجم التحدِّي الذي يواجهه.

إنَّنا، بوصفنا كائنات ذكيَّة، لسنا وحيدين في عالَمنا. هناك العديد مِن الكائنات الروحيَّة التي تشترك معنا في الفضاء ــ الشيطان وجيشه مِن الملائكة الساقطين. بالنظر إلى طبيعتنا الأنانيَّة الفرديَّة وطبيعة تلك الكيانات الشيطانيَّة، نرى أنَّ أرضنا هي المسرح الذي تدور عليه صدامات متعدِّدة بين اختيارات حرَّة ترتكز على الذات بشكل يومي. ما يصعب علينا أنْ نفهمه بشكل خاصّ هو كيف يتمكَّن إبليس وجيشه الشيطاني مِن إعاقة الله أو مواجهته.

قد يكون مِن المُقلِق بالنسبة لنا أنْ نُدرِك أنَّ الله لا يمارس سُلطة مُطلَقة على كلِّ شيء في كوكبنا. ومع ذلك، فهو غير راغب في التحكُّم في حياتنا الفرديَّة، وليس مِن طبيعته القيام بذلك؛ لقد خلقنا لنكون كائنات حرَّة ذكيَّة، لا لنكون دُمى.

في بداية سِفر أيُّوب، يبرز للواجهة ثلاثة أطراف أساسيَّة: الله والشيطان وأيُّوب. ولا يُذكَر الشيطان بالاسم في نهاية السِّفر. لماذا لا يكون حاضراً في الخاتمة الحاسمة لهذا اللقاء البالغ الأهمِّيَّة مع الله؟

يركّز الأصحاح الحادي والأربعون مِن سِفر أيُّوب بالكامل على مخلوق غامض يُشير إليه الله باسم "لوياثان". مَن أو ما هو لوياثان؟ هل يقدّم الكتاب المقدَّس أيَّة مؤشّرات أو أدلّة لتساعدنا في محاولتنا التعرُّف على هذا المخلوق؟ "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ يُعَاقِبُ الرَّبُّ بِسَيْفِهِ الْقَاسِي الْعَظِيمِ الشَّدِيدِ لَوِيَاثَانَ، الْحَيَّةَ الْهَارِبَةَ. لَوِيَاثَانَ الْحَيَّةَ الْمُتَحَوِّيَةَ، وَيَقْتُلُ التِّنِّينَ الَّذِي فِي الْبَحْرِ" (إشعياء 27: 1). إلى مَن تشير "الحيَّة الهاربة" وَ "الحيَّة المتحويَّة" وَ "التنّين الذي في البحر"؟ "فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ" (سِفر الرؤيا 12: 9). دعونا نفحص الأصحاح الحادي والأربعين مِن سِفر أيُّوب لنكتشف الصفات الشيطانيَّة المذكورة في وصف هذا المخلوق:

«أَتَصْطَادُ لَوِيَاثَانَ بِشِصٍّ، أَوْ تَضْغَطُ لِسَانَهُ بِحَبْلٍ؟ أَتَضَعُ أَسَلَةً فِي خَطْمِهِ، أَمْ تَثْقُبُ فَكَّهُ بِخِزَامَةٍ؟ أَيُكْثِرُ التَّضَرُّعَاتِ إِلَيْكَ، أَمْ يَتَكَلَّمُ مَعَكَ بِاللِّينِ؟ هَلْ يَقْطَعُ مَعَكَ عَهْدًا فَتَتَّخِذَهُ عَبْدًا مُؤَبَّدًا؟ أَتَلْعَبُ مَعَهُ كَالْعُصْفُورِ، أَوْ تَرْبِطُهُ لأَجْلِ فَتَيَاتِكَ؟ هَلْ تَحْفِرُ جَمَاعَةُ الصَّيَّادِينَ لأَجْلِهِ حُفْرَةً، أَوْ يَقْسِمُونَهُ بَيْنَ الْكَنْعَانِيِّينَ؟ أَتَمْلأُ جِلْدَهُ حِرَابًا وَرَأْسَهُ بِالآلِ السَّمَكِ؟ ضَعْ يَدَكَ عَلَيْهِ. لاَ تَعُدْ تَذْكُرُ الْقِتَالَ !هُوَذَا الرَّجَاءُ بِهِ كَاذِبٌ. أَلاَ يُكَبُّ أَيْضًا بِرُؤْيَتِهِ؟ لَيْسَ مِنْ شُجَاعٍ يُوقِظُهُ، فَمَنْ يَقِفُ إِذًا بِوَجْهِي؟ مَنْ تَقَدَّمَنِي فَأُوفِيَهُ؟ مَا تَحْتَ كُلِّ السَّمَاوَاتِ هُوَ لِي. لاَ أَسْكُتُ عَنْ أَعْضَائِهِ، وَخَبَرِ قُوَّتِهِ وَبَهْجَةِ عُدَّتِهِ .مَنْ يَكْشِفُ وَجْهَ لِبْسِهِ، وَمَنْ يَدْنُو مِنْ مَثْنَى لَجَمَتِهِ؟ مَنْ يَفْتَحُ مِصْرَاعَيْ فَمِهِ؟ دَائِرَةُ أَسْنَانِهِ مُرْعِبَةٌ. فَخْرُهُ مَجَانُّ مَانِعَةٌ مُحَكَّمَةٌ مَضْغُوطَةٌ بِخَاتِمٍ. الْوَاحِدُ يَمَسُّ الآخَرَ، فَالرِّيحُ لاَ تَدْخُلُ بَيْنَهَا. كُلٌّ مِنْهَا مُلْتَصِقٌ بِصَاحِبِهِ، مُتَلَكِّدَةٌ لاَ تَنْفَصِلُ. عِطَاسُهُ يَبْعَثُ نُورًا، وَعَيْنَاهُ كَهُدُبِ الصُّبْحِ. مِنْ فَمِهِ تَخْرُجُ مَصَابِيحُ. شَرَارُ نَارٍ تَتَطَايَرُ مِنْهُ .مِنْ مِنْخَرَيْهِ يَخْرُجُ دُخَانٌ كَأَنَّهُ مِنْ قِدْرٍ مَنْفُوخٍ أَوْ مِنْ مِرْجَل .نَفَسُهُ يُشْعِلُ جَمْرًا، وَلَهِيبٌ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ. فِي عُنُقِهِ تَبِيتُ الْقُوَّةُ، وَأَمَامَهُ يَدُوسُ الْهَوْلُ .مَطَاوِي لَحْمِهِ مُتَلاَصِقَةٌ مَسْبُوكَةٌ عَلَيْهِ لاَ تَتَحَرَّكُ .قَلْبُهُ صُلْبٌ كَالْحَجَرِ، وَقَاسٍ كَالرَّحَى .عِنْدَ نُهُوضِهِ تَفْزَعُ الأَقْوِيَاءُ. مِنَ الْمَخَاوِفِ يَتِيهُونَ. سَيْفُ الَّذِي يَلْحَقُهُ لاَ يَقُومُ، وَلاَ رُمْحٌ وَلاَ مِزْرَاقٌ وَلاَ دِرْعٌ .يَحْسِبُ الْحَدِيدَ كَالتِّبْنِ، وَالنُّحَاسَ كَالْعُودِ النَّخِرِ .لاَ يَسْتَفِزُّهُ نُبْلُ الْقَوْسِ. حِجَارَةُ الْمِقْلاَعِ تَرْجِعُ عَنْهُ كَالْقَشِّ .يَحْسِبُ الْمِقْمَعَةَ كَقَشٍّ، وَيَضْحَكُ عَلَى اهْتِزَازِ الرُّمْحِ. تَحْتَهُ قُطَعُ خَزَفٍ حَادَّةٌ. يُمَدِّدُ نَوْرَجًا عَلَى الطِّينِ .يَجْعَلُ الْعُمْقَ يَغْلِي كَالْقِدْرِ، وَيَجْعَلُ الْبَحْرَ كَقِدْرِ عِطَارَةٍ .يُضِيءُ السَّبِيلُ وَرَاءَهُ فَيُحْسَبُ اللُّجُّ أَشْيَبَ. لَيْسَ لَهُ فِي الأَرْضِ نَظِيرٌ. صُنِعَ لِعَدَمِ الْخَوْفِ .يُشْرِفُ عَلَى كُلِّ مُتَعَال. هُوَ مَلِكٌ عَلَى كُلِّ بَنِي الْكِبْرِيَاءِ» (أيُّوب 41).

يستخدم الله لغة رمزيَّة في هذا الفصل لوصف عدوٍّ قويّ لا يعرف التعاطف لدرجة أنَّنا نبقى عاجزين عن محاربة هذا الخصم بمفردنا. يدخل الله في صراع حادّ مع العدوّ الأشدّ جبروتاً الذي

يمكننا أنْ نتخيَّله على الإطلاق، ولكنَّ الله ملتزم تماماً بأنْ يخوض هذه المعركة نيابة عنَّا دون اللجوء إلى استخدام القوَّة في أيِّ وقت أو تحت أيِّ ظرف مِن الظروف.

لقد جعل الشيطانُ اللهَ يبدو كما هو: غاضباً، منتقماً، غير متسامح، عنيفاً، قاسياً، كثير التقيّد بحرفيَّة الشريعة، ويطلق الأحكام الانتقادية، بينما يظهر لنا في الوقت نفسه على أنَّه "ملاك نور" (كورنثوس الثانية 11: 14). لكنَّ الله يرى بوضوح ما لا نستطيع أنْ نراه نحن، إنَّه يرى مدى مهارة المخادع في مكره ودهائه.

يمكننا ــ مِن خلال هذا الوصف الرمزي لعدوِّ الله ــ أنْ نحصل على فهم للمعركة اليومية التي يخوضها الله لأجل كلِّ واحدٍ منَّا. يتدخَّل الله لإنقاذ أولاده مِن الأذى عندما يتخطَّى الشيطان حدوده يائساً في محاولاته الرامية إلى عرقلة أولئك الذين يستجيبون للروح القدس أو إلى إهلاكهم. بعض هذه التدخُّلات تكون واضحة بالنسبة لنا، في حين لا يكون معظمها كذلك. وبالتالي، سيواصل الله إلقاء اللوم عليه كلَّ يوم لأجل المعاناة التي نراها في عالَمنا. آملُ أنْ تساعدنا تجربة أيُّوب على إدراك أنَّ الله لا يمكنه منع كلَّ حادث أو كلَّ كارثة أو كلَّ مرض أو موت، بينما يحترم في الوقت نفسه الاختيارات الحرَّة التي تقوم بها مخلوقاته العاقلة.

هناك شيء آخر يراه الله بوضوح. لا أحد سواه موجود بذاته ــ ليس الشيطان كذلك. الشيطان كائن مخلوق اختار الشرَّ، والشرُّ يعتمد في وجوده بشكل مطلق على الخير. عندما تفهم هذه الحقيقة جميعُ الكائنات العاقلة في الكون، في سياق الكشف عن مصداقيَّة الله، سيسمح للشيطان ــ مُنشِئ الشرِّ وأصله ــ أنْ يُهلِك نفسه؛ ما الذي يمكن أنْ يكون أكثر إنصافاً مِن ذلك؟

لاَ تَخَفْ لأَنِّي مَعَكَ. لاَ تَتَلَفَّتْ لأَنِّي إِلهُكَ.

قَدْ أَيَّدْتُكَ وَأَعَنْتُكَ وَعَضَدْتُكَ بِيَمِينِ بِرِّي.

(إشعياء 41: 10).

10

لماذا نقرأ الكتاب المقدَّس؟

إنَّ الكتاب المقدَّس لم يُكتب عن طريق الإملاء مِن الله، "بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ" (بطرس الثانية 1: 21). لقد كُتِب الكتاب المقدَّس مِن قِبل أناس استخدموا كلماتهم الخاصَّة وفي سياق ثقافة كلِّ كاتب وخلفيَّته وشخصيَّته.

لماذا يظهر الله غالباً في الكتاب المقدَّس بوصفه المُهلِك؟ للإجابة على هذا السؤال، سيكون مِن المفيد أوَّلاً أنْ ننظر في الثقافة الدينيَّة الشائعة في البلاد القديمة حيث كُتِب الكتاب المقدَّس. يتَّضح فقط شيء واحد: كان الشعب اليهودي، وهو الشخصيَّة الرئيسية في الأحداث التي يرويها الكتاب المقدَّس، محاطاً بتأثيرات الوثنيَّة. على الرغم مِن التحذيرات الواضحة بأنْ يتجنَّب الشعب عبادة الأوثان، فقد كانوا يقعون دائماً تحت تأثير الممارسات الوثنيَّة المنتشرة بين جيرانهم. لقد شوَّهت الثقافة السائدة الطريقة التي فهِمَ بها الإسرائيليُّون الله.

كان الله يتوق لأنْ يُعلن ذاته للشعب. ومع ذلك، فقد كان الإعلان الكامل عن مجد صفاته سيُبعِدهم عنه أكثر. لقد تنازل الله ليصل إلى مستوى الناس الذين أراد الوصول إليهم، ولكي يقوم بذلك كان بحاجة إلى التحدُّث بلغتهم. كان على استعداد لأنْ يُساء فهمه في تعامله مع الشعب الإسرائيلي لكي يُنقذهم مِن إهلاك أنفسهم.

إضافة إلى ذلك، نجد أنَّ الناس الذين عاشوا في البلدان القديمة التي يذكرها الكتاب المقدَّس، والذين وقعوا تحت تأثير الشياطين، قد صنعوا آلهة عنيفة وتغضب بسهولة. وكانوا يعتقدون أنَّ المصائب التي كانوا يعانون منها كانت تحدث بسبب تلك الآلهة الغاضبة. ونتيجة لذلك، قدَّم الناس لها الأضاحي لاسترضائها وانحنوا توقيراً لها في احتفالاتهم الدينيَّة.

لا يُذكر سوى القليل في العهد القديم عن الشيطان، الكائن الذي يقع عليه بالفعل اللوم على المعاناة والموت في عالَمنا. لو تمَّ تعيين الشيطان باعتباره المسؤول عن المصائب التي يعاني منها البشر، لكان اهتمامهم سيتركَّز عليه بدلاً مِن الله. وفي هذه الحالة، كان أبناء الشعب الإسرائيلي سيعتبرون الشيطان إلهاً آخر له قوَّة مؤثِّرة على قوى الطبيعة، وهذا ما كان سيقودهم إلى أنْ يرفعوا له الذبائح والأضاحي، وبذلك كانوا سيعبدون الشيطان بدلاً مِن أنْ يعبدوا الله.

وقد عمل الله على منع حدوث ذلك مِن خلال أنَّه سمح للبشر بأنْ ينظروا إليه ليس فقط باعتبار أنَّه مصدر الأمور الصالحة التي حصل عليها الناس، بل مصدر الأمور الرديئة أيضاً. لقد كان الله أكثر اهتماماً بحال الناس والتأثير الذي سيتركه عليهم كشفُ النقاب عن هويَّة المُهلِك الحقيقي قبل الأوان أكثر مِن اهتمامه بسمعته هو. وبالرغم مِن هذا التنازل الخالي مِن الأنانية مِن جانب الله، ما يزال الناس يُكرِّمون الكيانات الشيطانيَّة مِن خلال العبادة الوثنيَّة: "ذَبَحُوا لأَوْثَانٍ لَيْسَتِ اللهَ" (سِفر التثنية 32: 17).

لم يكن الإسرائيليُّون القدماء على استعداد لأنْ يسمعوا إعلاناً واضحاً عن صفات الله اللطيفة والمُحِبَّة. كانوا سيرفضون الله لو أنَّه جاء إليهم ليظهر كما هو بالفعل ـ محبَّة لا تعرف الأنانيَّة. لقد أرادوا إلهاً يقاتل مِن أجلهم ويلجأ إلى العنف ضدَّ أعدائهم. أراد الإسرائيليُّون إلهاً يُشبههم. فبدلاً مِن أنْ يقبلوا حقيقة أنَّ الله خلق الإنسان على صورته (سِفر التكوين 1: 27)، عقدوا العزم على أنْ يخلقوا إلهاً على صورتهم. وهذا يمنحنا (إذا كنَّا على استعداد لأنْ ننظر في الأمر) فهماً حول ارتباط البشريَّة بالله في المقام الأوَّل عبر العصور حتَّى يومنا هذا.

11

لماذا نسيء فهم الله؟

عندما كان الله بيننا، لم تعترف به المؤسَّسة الدينيَّة ولم تُرحِّب به:

> وَفِيمَا هُمَا خَارِجَانِ، إِذَا إِنْسَانٌ أَخْرَسُ مَجْنُونٌ قَدَّمُوهُ إِلَيْهِ. فَلَمَّا أُخْرِجَ الشَّيْطَانُ تَكَلَّمَ الأَخْرَسُ، فَتَعَجَّبَ الْجُمُوعُ قَائِلِينَ: «لَمْ يَظْهَرْ قَطُّ مِثْلُ هذَا فِي إِسْرَائِيل!» أَمَّا الْفَرِّيسِيُّونَ فَقَالُوا: «بِرَئِيسِ الشَّيَاطِينِ يُخْرِجُ الشَّيَاطِينَ!». وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ الْمُدُنَ كُلَّهَا وَالْقُرَى يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهَا، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ (متَّى 9: 32 – 35).

تنطبق كلمات إشعياء التالية على الذين اتَّهموا يسوع بأنَّه متحالف مع الشيطان: "وَيْلٌ لِلْقَائِلِينَ لِلشَّرِّ خَيْرًا وَلِلْخَيْرِ شَرًّا، الْجَاعِلِينَ الظَّلاَمَ نُورًا وَالنُّورَ ظَلاَمًا، الْجَاعِلِينَ الْمُرَّ حُلْوًا وَالْحُلْوَ مُرًّا. وَيْلٌ لِلْحُكَمَاءِ فِي أَعْيُنِ أَنْفُسِهِمْ، وَالْفُهَمَاءِ عِنْدَ ذَوَاتِهِمْ" (إشعياء 5: 20 – 21).

> كَانَ فِي الْعَالَمِ، وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ الْعَالَمُ. إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ (يوحنَّا 1: 10 – 11).

هذا المقطع لا يشير فقط إلى التاريخ القديم، إذ ما يزال الناس لا يعرفون الله ويسيئون فهمه ولا يعترفون به. إنَّنا نسيء فهم الله بسبب ميلنا إلى الافتراض الخاطئ القائل بأنَّ الله متمركز حول الذات مثلنا نحن:

> وَلكِنَّ الإِنْسَانَ الطَّبِيعِيَّ لاَ يَقْبَلُ مَا لِرُوحِ اللهِ لأَنَّهُ عِنْدَهُ جَهَالَةٌ، وَلاَ يَقْدِرُ أَنْ يَعْرِفَهُ لأَنَّهُ إِنَّمَا يُحْكَمُ فِيهِ رُوحِيًّا (كورنثوس الأولى 2: 14).

إنَّ الجنس البشري ينجذب إلى التديُّن الخارجي. بدلاً مِن ذلك، فإنَّ ما نحتاج إليه هو أنْ نستبدل أنانيَّتنا بمحبَّة الله. إنَّ فكرة التخلِّي عن الأنانية تهدِّد "الإنسان الطبيعي". يبدو التديُّن الخارجي أكثر أماناً، لكنَّ هذا النوع مِن الأمان هو وُهم ماكر. غالباً ما يُستخدم التديُّن الخارجي للاختباء مِن الله.

وَجَاءَ إِلَيْهِ الْفَرِّيسِيُّونَ لِيُجَرِّبُوهُ قَائِلِينَ لَهُ: «هَلْ يَحِلُّ لِلرَّجُلِ أَنْ يُطَلِّقَ امْرَأَتَهُ لِكُلِّ سَبَبٍ؟» فَأَجَابَ وَقَالَ لَهُمْ: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ». قَالُوا لَهُ: «فَلِمَاذَا أَوْصَى مُوسَى أَنْ يُعْطَى كِتَابُ طَلاَق فَتُطَلَّقُ؟» قَالَ لَهُمْ: «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكَذَا» (متَّى 19: 3 – 8).

يُظهر الكثير مِن العهد القديم جهود الله للتقرُّب مِن الناس القساة. والله يُساء فهمه في مقاطع الكتاب المقدَّس، حيث أنَّه استوعب إرادة الشعب بدلاً مِن أنْ يتخلَّى عنهم باعتبارهم حالة لا أمل فيها. نحن، وليس الله، مَن يفتقر إلى الرحمة. ومع ذلك، فقد أخطأنا دائماً في فهم تعاملات الله مع الأشخاص القساة غير الرحماء الذين يذكرهم العهد القديم. ونتيجة لذلك، نتَّهم الله بالتغاضي عن العبوديَّة وتعدُّد الزوجات. نتَّهمه بتشجيع حروب الغزو، وإصدار الأوامر بالإبادة الجماعيَّة، وإيقاع عقوبات شديدة على العصاة الخارجين على الشريعة. إنَّنا نوجِّه هذه الاتِّهامات لأنَّنا لا نفهم حجم المشكلة المتعلِّقة بقساوة الإنسان، والتي كانت تواجه الله باستمرار في تعامله مع شعب إسرائيل قديماً.

إنَّ يسوع، في العظة على الجبل، عظَّم الشريعة ورفع مِن شأنها، وأعطى لها تطبيقاً عمليّاً قائماً على شريعة المحبَّة:

«سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ: عَيْنٌ بِعَيْنٍ وَسِنٌّ بِسِنٍّ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: لاَ تُقَاوِمُوا الشَّرَّ، بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الآخَرَ أَيْضًا. وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَاصِمَكَ وَيَأْخُذَ ثَوْبَكَ فَاتْرُكْ لَهُ الرِّدَاءَ أَيْضًا. وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلًا وَاحِدًا فَاذْهَبْ مَعَهُ اثْنَيْنِ. مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلاَ تَرُدَّهُ» (متَّى 5: 38 – 42).

ومِن خلال هذه الكلمات شرحَ يسوع إرادة الله الكاملة بدلاً مِن أنْ يتكيَّف مع إرادة القساة مِن الناس.

فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كَانَ اللهُ أَبَاكُمْ لَكُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي، لأَنِّي خَرَجْتُ مِنْ قِبَلِ اللهِ وَأَتَيْتُ. لأَنِّي لَمْ آتِ مِنْ نَفْسِي، بَلْ ذَاكَ أَرْسَلَنِي .لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي. أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ. وَأَمَّا أَنَا فَلأَنِّي أَقُولُ الْحَقَّ لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ

بِي. مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟ فَإِنْ كُنْتُ أَقُولُ الْحَقَّ، فَلِمَاذَا لَسْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِي؟ اَلَّذِي مِنَ اللهِ يَسْمَعُ كَلاَمَ اللهِ. لِذلِكَ أَنْتُمْ لَسْتُمْ تَسْمَعُونَ، لأَنَّكُمْ لَسْتُمْ مِنَ اللهِ». فَأَجَاب الْيَهُودُ وَقَالُوا لَهُ: «أَلَسْنَا نَقُولُ حَسَنًا: إِنَّكَ سَامِرِيٌّ وَبِكَ شَيْطَانٌ؟» (يوحنَّا 8: 42 – 48).

قال يسوع للقادة الدينيّين، "أنتم مِن أبٍ هو إبليس". ويسوع قال ذلك لأنَّهم ورثوا الصورة المشوَّهة التي أوصلها إليهم الشيطان عن الله، وقاوموا أيَّ تغيير في تلك الصورة.

وَجَعَلُوا فَوْقَ رَأْسِهِ عِلَّتَهُ مَكْتُوبَةً: «هذَا هُوَ يَسُوعُ مَلِكُ الْيَهُودِ». حِينَئِذٍ صُلِبَ مَعَهُ لِصَّانِ، وَاحِدٌ عَنِ الْيَمِينِ وَوَاحِدٌ عَنِ الْيَسَارِ. وَكَانَ الْمُجْتَازُونَ يُجَدِّفُونَ عَلَيْهِ وَهُمْ يَهُزُّونَ رُؤُوسَهُمْ قَائِلِينَ: «يَا نَاقِضَ الْهَيْكَلِ وَبَانِيَهُ فِي ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ، خَلِّصْ نَفْسَكَ! إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَانْزِلْ عَنِ الصَّلِيبِ!». وَكَذلِكَ رُؤَسَاءُ الْكَهَنَةِ أَيْضًا وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ مَعَ الْكَتَبَةِ وَالشُّيُوخِ قَالُوا: «خَلَّصَ آخَرِينَ وَأَمَّا نَفْسُهُ فَمَا يَقْدِرُ أَنْ يُخَلِّصَهَا! إِنْ كَانَ هُوَ مَلِكَ إِسْرَائِيلَ فَلْيَنْزِلِ الآنَ عَنِ الصَّلِيبِ فَنُؤْمِنَ بِهِ! قَدِ اتَّكَلَ عَلَى اللهِ، فَلْيُنْقِذْهُ الآنَ إِنْ أَرَادَهُ! لأَنَّهُ قَالَ: أَنَا ابْنُ اللهِ!» (متَّى 27: 37 – 43).

إنَّ الوساوس نفسها التي استخدمها الشيطان في البرّيَّة لتجربة المسيح استخدمها أيضاً أولئك الذين سخروا مِن يسوع بينما كان على الصليب: "إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ" (متَّى 4: 3).

وَلَيْسَ أَحَدٌ يَجْعَلُ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ عَتِيقَةٍ لِئَلاَّ تَشُقَّ الْخَمْرُ الْجَدِيدَةُ الزِّقَاقَ، فَهِيَ تُهْرَقُ وَالزِّقَاقُ تَتْلَفُ. بَلْ يَجْعَلُونَ خَمْرًا جَدِيدَةً فِي زِقَاقٍ جَدِيدَةٍ، فَتُحْفَظُ جَمِيعًا (لوقا 5: 37 – 38).

مِن خلال هذا التشبيه نجد كيف أنَّ يسوع يقارن تعليمه الراديكالي الجديد بـ "الخميرة الجديدة" التي تشقُّ "الزقاق العتيقة". لقد رسم يسوع بالكلمة والمثال صورة واضحة عن محبَّة الله التي كانت في تناقض حادٍّ مع صورة الله المشوَّهة ("الخمر العتيقة")، التي تمسَّك بها المعلِّمون الدينيُّون ("الزقاق القديمة")، والتي تصدَّى لها يسوع. لم يكن بالإمكان الجمع بين هذين الرأيين المتناقضين. وهكذا هي الحال اليوم. لا بدَّ أنْ تزول صورة الإله العنيف لتفسح المجال في أذهاننا أمام إلهنا الرؤوف.

12

كيف يأتي الله بالهلاك؟

نجد في سفر أخبار الأيَّام الأوَّل مثالاً مِن أوضح الأمثلة التي تبيِّن كيف يأتي الله بالهلاك. كان شاول، ملك إسرائيل، يتجاهل لفترة مِن الزمن مشورة الله التي وصلت إليه عن طريق النبيّ صموئيل الذي أوصاه بأنْ يحيد عن طريق الهلاك الذي كان سائراً فيه. قام شاول بعدَّة محاولات لقتل داود، خادِمه المُخلِص. كما أذنب أيضاً بقتله كهنة نوب، وطلبه المشورة مِن ساحرة. أصيب شاول بجروح في معركة مع الفلسطينيّين، وكان خائفاً ممَّا سيحدث إذا تمَّ إلقاء القبض عليه. ونتيجة وقوعه في اليأس الشديد، "...أَخَذَ شَاوُلُ السَّيْفَ وَسَقَطَ عَلَيْهِ" (أخبار الأيَّام الأوَّل 10: 4).

لاحِظوا كيف يختتم الكتاب المقدَّس هذه الرواية المأساوية حول موت شاول:

> فَمَاتَ شَاوُلُ بِخِيَانَتِهِ الَّتِي بِهَا خَانَ الرَّبَّ مِنْ أَجْلِ كَلاَمِ الرَّبِّ الَّذِي لَمْ يَحْفَظْهُ. وَأَيْضًا لأَجْلِ طَلَبِهِ إِلَى الْجَانِّ لِلسُّؤَالِ، وَلَمْ يَسْأَلْ مِنَ الرَّبِّ، فَأَمَاتَهُ وَحَوَّلَ الْمَمْلَكَةَ إِلَى دَاوُدَ بْنِ يَسَّى (أخبار الأيَّام الأوَّل 10: 13 – 14).

مِن الواضح أنَّ الإجراء الوحيد الذي نرى أنَّ الله قد اتَّخذه ــ مِن خلال موت شاول ــ هو السماح لشاول بأنْ يسلك في طريقه الذي اختاره ويختبر عواقب أفعاله. لقد كان الانتحار، وليس القتل، هو السبب وراء موت شاول. ومع ذلك، يذكر الكتاب المقدَّس أنَّ الله قد أماته. الكلمة المستخدمة هنا لوصف ما فعله الله تختلف بالتأكيد عن التعريف الذي نجده في القاموس. وهذا لا يشكِّل مثالاً معزولاً. في الإصحاح التالي، سنقوم بتفحُّص الكلمات الموجودة في الكتاب المقدَّس، مثل الغضب والسخط والغيرة. يعطي الكتاب المقدس هذه الكلمات معنى مختلفاً تماماً عن استخدامها الشائع عند الإشارة إلى طرق الله وأفكاره.

اُطْلُبُوا الرَّبَّ مَا دَامَ يُوجَدُ. ادْعُوهُ وَهُوَ قَرِيبٌ. لِيَتْرُكِ الشِّرِّيرُ طَرِيقَهُ، وَرَجُلُ الإِثْمِ أَفْكَارَهُ، وَلْيَتُبْ إِلَى الرَّبِّ فَيَرْحَمَهُ، وَإِلَى إِلهِنَا لأَنَّهُ يُكْثِرُ الْغُفْرَانَ. «لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ، وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي، يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ، هكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ».

(إشعياء 55: 6 – 9).

13

ما هو غضب الله؟

إنَّ مسألة غضب الله تحيِّر الكثيرين منَّا عندما نقرأ العهد القديم. هناك العديد مِن الإشارات إلى غضب الله وسخطه، ولكنْ ما هو غضبه؟ للإجابة على هذا السؤال، سيكون مِن المفيد أنْ ننظر في بعض الأمثلة مِن الكتاب المقدَّس. ورد أوَّل ذِكر لغضب الله عندما كَلَّف موسى بقيادة بني إسرائيل وإخراجهم مِن العبوديَّة في مصر إلى الحرِّيَّة. ما هي الظروف التي جعلت الله مضطرّاً لأنْ يُظهِر غضبه في ذلك الوقت؟

> فَقَالَ مُوسَى لِلرَّبِّ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، لَسْتُ أَنَا صَاحِبَ كَلاَمٍ مُنْذُ أَمْسِ وَلاَ أَوَّلِ مِنْ أَمْسِ، وَلاَ مِنْ حِينِ كَلَّمْتَ عَبْدَكَ، بَلْ أَنَا ثَقِيلُ الْفَمِ وَاللِّسَانِ». فَقَالَ لَهُ الرَّبُّ: «مَنْ صَنَعَ لِلإِنْسَانِ فَمًا؟ أَوْ مَنْ يَصْنَعُ أَخْرَسَ أَوْ أَصَمَّ أَوْ بَصِيرًا أَوْ أَعْمَى؟ أَمَا هُوَ أَنَا الرَّبُّ؟ فَالآنَ اذْهَبْ وَأَنَا أَكُونُ مَعَ فَمِكَ وَأُعَلِّمُكَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ». فَقَالَ: «اسْتَمِعْ أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَرْسِلْ بِيَدِ مَنْ تُرْسِلُ» (خر وج 4: 10 – 13).

كان موسى خائفاً مِن أنْ يدخل في حضور فرعون، لذلك طلبَ متحدِّثاً باسمه. كيف استجاب الله؟

> فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى مُوسَى وَقَالَ: «أَلَيْسَ هَارُونُ اللاَّوِيُّ أَخَاكَ؟ أَنَا أَعْلَمُ أَنَّهُ هُوَ يَتَكَلَّمُ، وَأَيْضًا هَا هُوَ خَارِجٌ لاسْتِقْبَالِكَ. فَحِينَمَا يَرَاكَ يَفْرَحُ بِقَلْبِهِ» (سِفر الخروج 4: 14).

كيف عبَّر الله عن غضبه؟ لقد عبَّر عن غضبه بأنْ أعطى موسى ما أراد. دعونا نلقي نظرة على بعض مقاطع الكتاب المقدَّس الأخرى التي تشير إلى غضب الله:

> وَاللَّفِيفُ الَّذِي فِي وَسَطِهِمِ اشْتَهَى شَهْوَةً. فَعَادَ بَنُو إِسْرَائِيلَ أَيْضًا وَبَكَوْا وَقَالُوا: «مَنْ يُطْعِمُنَا لَحْمًا؟»... فَلَمَّا سَمِعَ مُوسَى الشَّعْبَ يَبْكُونَ بِعَشَائِرِهِمْ، كُلَّ وَاحِدٍ فِي بَابِ خَيْمَتِهِ، وَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ جِدًّا، سَاءَ ذلِكَ فِي عَيْنَيْ مُوسَى... فَخَرَجَتْ رِيحٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ وَسَاقَتْ سَلْوَى مِنَ الْبَحْرِ وَأَلْقَتْهَا عَلَى الْمَحَلَّةِ، نَحْوَ مَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هُنَا وَمَسِيرَةِ يَوْمٍ مِنْ هُنَاكَ، حَوَالَيِ الْمَحَلَّةِ، وَنَحْوَ ذِرَاعَيْنِ فَوْقَ وَجْهِ الأَرْضِ. فَقَامَ الشَّعْبُ كُلَّ ذلِكَ النَّهَارِ، وَكُلَّ اللَّيْلِ وَكُلَّ يَوْمِ الْغَدِ

وَجَمَعُوا السَّلْوَى. الَّذِي قَلَّ جَمَعَ عَشَرَةَ حَوَامِرَ. وَسَطَّحُوهَا لَهُمْ مَسَاطِحَ حَوَالَيِ الْمَحَلَّةِ (سِفر العدد 11: 4، 10، 31 – 32).

نجد في هذه الحادثة أنَّ غضب الله يُذكر مِن جديد، فماذا فعل؟ أعطى الناس ما أرادوا.

وَكَانَ لَمَّا شَاخَ صَمُوئِيلُ أَنَّهُ جَعَلَ بَنِيهِ قُضَاةً لإِسْرَائِيلَ .وَكَانَ اسْمُ ابْنِهِ الْبِكْرِ يُوئِيلَ، وَاسْمُ ثَانِيهِ أَبِيَّا. كَانَا قَاضِيَيْنِ فِي بِئْرِ سَبْعٍ. وَلَمْ يَسْلُكِ ابْنَاهُ فِي طَرِيقِهِ، بَلْ مَالاَ وَرَاءَ الْمَكْسَبِ، وَأَخَذَا رَشْوَةً وَعَوَّجَا الْقَضَاءَ. فَاجْتَمَعَ كُلُّ شُيُوخِ إِسْرَائِيلَ وَجَاءُوا إِلَى صَمُوئِيلَ إِلَى الرَّامَةِ. وَقَالُوا لَهُ: «هُوَذَا أَنْتَ قَدْ شِخْتَ، وَابْنَاكَ لَمْ يَسِيرَا فِي طَرِيقِكَ. فَالآنَ اجْعَلْ لَنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا كَسَائِرِ الشُّعُوبِ» فَسَاءَ الأَمْرُ فِي عَيْنَيْ صَمُوئِيلَ إِذْ قَالُوا: «أَعْطِنَا مَلِكًا يَقْضِي لَنَا». وَصَلَّى صَمُوئِيلُ إِلَى الرَّبِّ. فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «اسْمَعْ لِصَوْتِ الشَّعْبِ فِي كُلِّ مَا يَقُولُونَ لَكَ، لأَنَّهُمْ لَمْ يَرْفُضُوكَ أَنْتَ بَلْ إِيَّايَ رَفَضُوا حَتَّى لاَ أَمْلِكَ عَلَيْهِمْ» (صموئيل الأوَّل 8: 1 – 7).

بعث الله برسالة إلى الشعب مِن خلال نبيّه صموئيل، حيث قدَّم فيها أسباباً عديدة توضّح لماذا لن يكون مِن مصلحتهم أنْ يُستجاب طلبهم في أنْ يقيم الله مَلِكاً عليهم، فهل استمعوا إلى صموئيل؟

فَأَبَى الشَّعْبُ أَنْ يَسْمَعُوا لِصَوْتِ صَمُوئِيلَ، وَقَالُوا: «لاَ بَلْ يَكُونُ عَلَيْنَا مَلِكٌ، فَنَكُونُ نَحْنُ أَيْضًا مِثْلَ سَائِرِ الشُّعُوبِ، وَيَقْضِي لَنَا مَلِكُنَا وَيَخْرُجُ أَمَامَنَا وَيُحَارِبُ حُرُوبَنَا» (صموئيل الأوَّل 8: 19 – 20).

كيف تجاوب الله مع إلحاح الشعب؟ "فَقَالَ الرَّبُّ لِصَمُوئِيلَ: «اسْمَعْ لِصَوْتِهِمْ وَمَلِّكْ عَلَيْهِمْ مَلِكًا». فَقَالَ صَمُوئِيلُ لِرِجَالِ إِسْرَائِيلَ: «اذْهَبُوا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى مَدِينَتِهِ»" (الآية 22). كيف نعرف أنَّ الله أعطاهم مَلِكاً بغضبه؟ إنَّ النبيَّ هوشع يقدِّم لنا ــ مِن خلال نظرة قام بها للوراء في هذا الحدث التاريخي ــ منظور الله حول دوره في تلبية مطلب الشعب:

هَلاَكُكَ يَا إِسْرَائِيلُ أَنَّكَ عَلَيَّ، عَلَى عَوْنِكَ. فَأَيْنَ هُوَ مَلِكُكَ حَتَّى يُخَلِّصَكَ فِي جَمِيعِ مُدُنِكَ؟ وَقُضَاتُكَ حَيْثُ قُلْتَ: أَعْطِنِي مَلِكًا وَرُؤَسَاءَ؟ أَنَا أَعْطَيْتُكَ مَلِكًا بِغَضَبِي وَأَخَذْتُهُ بِسَخَطِي (هوشع 13: 9 – 11).

هذه الروايات الثلاثة مِن الكتاب المقدَّس تُظهِر بوضوح أنَّ غضب الله كان عبارة عن مرادف لغوي يشير إلى أنَّه كان يعطي الشعب الإسرائيلي ما أرادوا عندما لم يكن في مصلحتهم أنْ

يقوموا بذلك. وهذا ينبغي أنْ يكون كافياً، على أقلِّ تقدير، للإشارة إلى أنَّه بالإمكان تعريف غضب الله، مِن الكتاب المقدَّس، على أنَّه مختلف تماماً عن التعريف الموجود في القاموس. ومع ذلك، هناك أكثر مِن هذا بكثير. ماذا حدث عندما غضبَ يسوع؟

> ثُمَّ دَخَلَ أَيْضًا إِلَى الْمَجْمَعِ، وَكَانَ هُنَاكَ رَجُلٌ يَدُهُ يَابِسَةٌ. فَصَارُوا يُرَاقِبُونَهُ: هَلْ يَشْفِيهِ فِي السَّبْتِ؟ لِكَيْ يَشْتَكُوا عَلَيْهِ. فَقَالَ لِلرَّجُلِ الَّذِي لَهُ الْيَدُ الْيَابِسَةُ: «قُمْ فِي الْوَسْطِ!» ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: «هَلْ يَحِلُّ فِي السَّبْتِ فِعْلُ الْخَيْرِ أَوْ فِعْلُ الشَّرِّ؟ تَخْلِيصُ نَفْسٍ أَوْ قَتْلٌ؟». فَسَكَتُوا. فَنَظَرَ حَوْلَهُ إِلَيْهِمْ بِغَضَبٍ، حَزِينًا عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ: «مُدَّ يَدَكَ». فَمَدَّهَا، فَعَادَتْ يَدُهُ صَحِيحَةً كَالأُخْرَى. فَخَرَجَ الْفَرِّيسِيُّونَ لِلْوَقْتِ مَعَ الْهِيرُودُسِيِّينَ وَتَشَاوَرُوا عَلَيْهِ لِكَيْ يُهْلِكُوهُ (مرقس 3: 1 – 6).

هذا اللقاء أجراه يسوع مع الفريسيين. كانت قيود شريعتهم تحرِّم الشفاء يوم السبت. وإذ كان يسوع يقرأ قلوبهم، "نَظَرَ حَوْلَهُ". أيُّ نوع مِن الغضب كان لدى يسوع؟ كان غضبه مِن النوع الموصوف بالقول أنَّ يسوع كان "، حَزِينًا عَلَى غِلاَظَةِ قُلُوبِهِمْ". كانت تجول في نفس يسوع مشاعر الأسى أو الحزن العميق على قلَّة المحبَّة والتعاطف التي أبداها هؤلاء القادة الدينيُّون الذين لم يرحموا الرجل ذا اليد اليابسة. ماذا يمكننا أنْ نكتشف في الكتاب المقدَّس أيضاً عن غضب الله وسخطه ؟

> لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ (رومية 1: 18).

كيف يُستعلن غضب الله؟

> لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ أَيْضًا فِي شَهَوَاتِ قُلُوبِهِمْ إِلَى النَّجَاسَةِ (رومية 1: 24).

> لِذلِكَ أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى أَهْوَاءِ الْهَوَانِ (رومية 1: 26).

> وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لاَ يَلِيقُ (رومية 1: 28).

يُعرَّف غضب الله هنا على أنَّه تخلِّي الله عنهم، أو أنَّه أسلمهم ــ وبعبارة أخرى، أنَّ الله يمنح الناسَ حرّيَّة الانفصال عن نفسه. إنَّ الغضب الذي ننسبه إلى الله في الغالب ليس هو بالضبط غضب الدمار الانتقامي. دعونا نلقي نظرة على المزيد مِن مقاطع العهد القديم.

فَقَامَ الشَّعْبُ كُلَّ ذلِكَ النَّهَارِ، وَكُلَّ اللَّيْلِ وَكُلَّ يَوْمِ الْغَدِ وَجَمَعُوا السَّلْوَى. الَّذِي قَلَّ جَمَعَ عَشَرَةَ حَوَامِرَ. وَسَطَّحُوهَا لَهُمْ مَسَاطِحَ حَوَالَيِ الْمَحَلَّةِ. وَإِذْ كَانَ اللَّحْمُ بَعْدُ بَيْنَ أَسْنَانِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَنْقَطِعَ، حَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى الشَّعْبِ، وَضَرَبَ الرَّبُّ الشَّعْبَ ضَرْبَةً عَظِيمَةً جِدًّا (سِفر العدد 11: 32 – 33).

نعود هنا إلى قصَّة طيور السلوى التي أنزلها الله بغضبه على الشعب. كانت هناك نتيجة طبيعية نتجت عن شراهة الشعب: "وضربَ الرَّبُّ الشعب ضربة عظيمة جدّاً".

مِن الجدير بالذكر أنَّ كلَّ تلك الأطنان مِن لحوم السلوى الطازجة لم تكن لتدوم طويلاً في تلك البيئة الصحراوية حيث كان يقيم الإسرائيليُّون. وكان اللحم يفسد بسرعة، ممَّا يجعله غير صالح للاستهلاك البشري. بالنظر إلى هذه الحقيقة، ما هو نوع الوبأ المحتمل أنْ يكون قد نتج عن ذلك؟ عندما نأخذ بعين الاعتبار نوع الميكروبات والظروف المناسبة لها، نجد أنَّ التسمُّم الغذائي بلوى قاتلة: "فَدُعِيَ اسْمُ ذلِكَ الْمَوْضِعِ «قَبَرُوتَ هَتَّأَوَةَ» لأَنَّهُمْ هُنَاكَ دَفَنُوا الْقَوْمَ الَّذِينَ اشْتَهَوْا" (الآية 34). ماذا كان "غضب الرَّبِّ"؟ أليس مِن المعقول أنْ نستنتج أنَّ غضب الله كان عدم تدخّله في حدث قائم على قانون السبب والنتيجة؟

فَيَشْتَعِلُ غَضَبِي عَلَيْهِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، وَأَتْرُكُهُ وَأَحْجُبُ وَجْهِي عَنْهُ، فَيَكُونُ مَأْكُلَةً، وَتُصِيبُهُ شُرُورٌ كَثِيرَةٌ وَشَدَائِدُ حَتَّى يَقُولَ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ: أَمَا لأَنَّ إِلهِي لَيْسَ فِي وَسَطِي أَصَابَتْنِي هذِهِ الشُّرُورُ! وَأَنَا أَحْجُبُ وَجْهِي فِي ذلِكَ الْيَوْمِ لأَجْلِ جَمِيعِ الشَّرِّ الَّذِي عَمِلَهُ، إِذِ الْتَفَتَ إِلَى آلِهَةٍ أُخْرَى (سِفر التثنية 31: 17 – 18).

ما المقصود مِن أنْ يحجب الله وجهه؟ "ألم تأتِ هذه الشرور علينا لأنَّ إلهنا ليس في وسطنا؟". إنَّ هذا النوع مِن الكلام يصف مرَّة أخرى عدم تدخُّل الله. لماذا قال الله أنَّه سيحجب وجهه؟ "مِن أجل جميع الشرور التي عملوها، إذ التفتوا إلى آلهة آخرى". وماذا ستكون النتيجة؟ "يكونون مأكلة، وتصيبهم شرور كثيرة وشدائد". عندما تحوَّل الناس إلى آلهة أخرى، ابتعدوا عن الإله الحقيقي، ولم يعد مِن الممكن أنْ يصونهم مِن العواقب الحتميَّة.

وَفَعَلَ بَنُو إِسْرَائِيلَ الشَّرَّ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ وَعَبَدُوا الْبَعْلِيمَ. وَتَرَكُوا الرَّبَّ إِلهَ آبَائِهِمِ الَّذِي أَخْرَجَهُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ، وَسَارُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الشُّعُوبِ الَّذِينَ حَوْلَهُمْ، وَسَجَدُوا لَهَا وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. تَرَكُوا الرَّبَّ وَعَبَدُوا الْبَعْلَ وَعَشْتَارُوثَ. فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَدَفَعَهُمْ بِأَيْدِي

نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ، وَبَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ حَوْلَهُمْ، وَلَمْ يَقْدِرُوا بَعْدُ عَلَى الْوُقُوفِ أَمَامَ أَعْدَائِهِمْ (القضاة 2: 11 – 14).

يصف هذا المقطع ارتداد الشعب المستمرّ عن الربّ. هنا الله دفعهم "بِأَيْدِي نَاهِبِينَ نَهَبُوهُمْ" وَ "بَاعَهُمْ بِيَدِ أَعْدَائِهِمْ". نجد هنا مرَّة أخرى ردَّة فعل سلبيَّة تجاه الأزمة. لم يتمكَّن الله – بسبب ارتداد بني إسرائيل – مِن أنْ يمنع أعداءهم مِن غزو أراضيهم.

وَيَضْرِبُ الرَّبُّ إِسْرَائِيلَ كَاهْتِزَازِ الْقَصَبِ فِي الْمَاءِ، وَيَسْتَأْصِلُ إِسْرَائِيلَ عَنْ هذِهِ الأَرْضِ الصَّالِحَةِ الَّتِي أَعْطَاهَا لآبَائِهِمْ، وَيُبَدِّدُهُمْ إِلَى عَبْرِ النَّهْرِ لأَنَّهُمْ عَمِلُوا سَوَارِيَهُمْ وَأَغَاظُوا الرَّبَّ. وَيَدْفَعُ إِسْرَائِيلَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَا يَرُبْعَامَ الَّذِي أَخْطَأَ وَجَعَلَ إِسْرَائِيلَ يُخْطِئُ (الملوك الأوَّل 14: 15 – 16).

نجد هنا أنَّ غضب الله (وضربته) هي تخلّيه عن إسرائيل المرتدَّة.

أَغَاظُوهُ بِمُرْتَفَعَاتِهِمْ، وَأَغَارُوهُ بِتَمَاثِيلِهِمْ. سَمِعَ اللهُ فَغَضِبَ، وَرَذَلَ إِسْرَائِيلَ جِدًّا، وَرَفَضَ مَسْكِنَ شِيلُوِ، الْخَيْمَةَ الَّتِي نَصَبَهَا بَيْنَ النَّاسِ. وَسَلَّمَ لِلسَّبْيِ عِزَّهُ، وَجَلاَلَهُ لِيَدِ الْعَدُوِّ. وَدَفَعَ إِلَى السَّيْفِ شَعْبَهُ، وَغَضِبَ عَلَى مِيرَاثِهِ (مزمور 78: 58 – 62).

هنا تعريف الغضب يشتمل على: التخلّي، والتَّرْك، وتسليم الشعب إلى السبي.

فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى شَعْبِهِ، وَكَرِهَ مِيرَاثَهُ. وَأَسْلَمَهُمْ لِيَدِ الأُمَمِ، وَتَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مُبْغِضُوهُمْ (مزمور 106: 40 – 41).

نجد هنا أنَّ غضب الله يُوصف باعتبار أنَّ الله "أسلمهم لِيَد الأمم".

بِفَيَضَانِ الْغَضَبِ حَجَبْتُ وَجْهِي عَنْكِ لَحْظَةً، وَبِإِحْسَانٍ أَبَدِيٍّ أَرْحَمُكِ، قَالَ وَلِيُّكِ الرَّبُّ (إشعياء 54: 8).

نجد في هذا المقطع أنَّ "فيضان الغضب" هو عبارة عن قيام الله بحجب وجهه "لِلحظة"، لكنَّ إحسانه ورحمته تجاهنا يدومان إلى الأبد.

وَأَطْرَحُكُمْ مِنْ أَمَامِي كَمَا طَرَحْتُ كُلَّ إِخْوَتِكُمْ، كُلَّ نَسْلِ أَفْرَايِمَ. أَفَإِيَّايَ يُغِيظُونَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَلَيْسَ أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ خِزْيِ وُجُوهِهِمْ؟ لِذلِكَ هكَذَا قَالَ

السَّيِّدُ الرَّبُّ: هَا غَضَبِي وَغَيْظِي يَنْسَكِبَانِ عَلَى هذَا الْمَوْضِعِ، عَلَى النَّاسِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى شَجَرِ الْحَقْلِ وَعَلَى ثَمَرِ الأَرْضِ، فَيَتَّقِدَانِ وَلاَ يَنْطَفِئَانِ (إرميا 7: 15، 19 – 20).

يسأل الله قائلاً: "أَفَإِيَّايَ يُغِيظُونَ؟ ... أَلَيْسَ أَنْفُسَهُمْ لأَجْلِ خِزْيِ وُجُوهِهِمْ؟". كانت مشكلات الناس ناتجة عن عبادة الأصنام، ولم تحدث بوصفها عقاباً مِن الله.

جُزِّي شَعْرَكِ وَاطْرَحِيهِ، وَارْفَعِي عَلَى الْهِضَابِ مَرْثَاةً، لأَنَّ الرَّبَّ قَدْ رَفَضَ وَرَذَلَ جِيلَ رِجْزِهِ (إرميا 7: 29).

هناك المزيد مِن المقاطع المقتبسة مِن الكتاب المقدَّس والتي تستخدم مصطلحات مماثلة، لكنَّ المقاطع التي نظرنا فيها ينبغي أنْ تكون كافية لتقديم حجَّة مقنعة على أنَّ غضب الله ليس أبداً عقاباً لأحد. إنَّ الله يعطينا الحرِّيَّة لأنْ نقبله أو نرفضه. غضب الله هو العواقب الطبيعيَّة الناجمة عن خياراتنا الخاطئة، حيث يكون الله مضطرَّاً لأنْ يسمح لنا بأنْ نمضي في طريقنا نحن. ودور الله دائماً ــ في هذه الحالة ــ هو دور سلبي، بمعنى أنَّه يتخلَّى ويترك ويحجب وجهه ويخفيه، بالإضافة إلى مصطلحات أخرى مشابهة.

عندما أعلن الله عن ذاته أمام موسى، لم يُدرج الغضب أو السخط باعتبارهما مِن صفاته: "فَاجْتَازَ الرَّبُّ قُدَّامَهُ، وَنَادَى الرَّبُّ: «الرَّبُّ إِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، بَطِيءُ الْغَضَبِ وَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَالْوَفَاءِ. حَافِظُ الإِحْسَانِ إِلَى أُلُوفٍ. غَافِرُ الإِثْمِ وَالْمَعْصِيَةِ وَالْخَطِيَّةِ. وَلكِنَّهُ لَنْ يُبْرِئَ إِبْرَاءً. مُفْتَقِدُ إِثْمَ الآبَاءِ فِي الأَبْنَاءِ، وَفِي أَبْنَاءِ الأَبْنَاءِ، فِي الْجِيلِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ" (سِفر الخروج 34: 6 – 7).

وَتَكَلَّمَ الشَّعْبُ عَلَى اللهِ وَعَلَى مُوسَى قَائِلِينَ: «لِمَاذَا أَصْعَدْتُمَانَا مِنْ مِصْرَ لِنَمُوتَ فِي الْبَرِّيَّةِ؟ لأَنَّهُ لاَ خُبْزَ وَلاَ مَاءَ، وَقَدْ كَرِهَتْ أَنْفُسُنَا الطَّعَامَ السَّخِيفَ» فَأَرْسَلَ الرَّبُّ عَلَى الشَّعْبِ الْحَيَّاتِ الْمُحْرِقَةَ، فَلَدَغَتِ الشَّعْبَ، فَمَاتَ قَوْمٌ كَثِيرُونَ مِنْ إِسْرَائِيلَ (سِفر العدد 21: 5 – 6).

يُخبرنا هذا المقطع أنَّ الرَّبَّ أرسل على الشعب حيَّات مُحرِقة ردَّاً على شكواهم. بالنظر إلى الأدلَّة التي نظرنا فيها حتَّى الآن مِن خلال دراسة الكتاب المقدَّس، ماذا الذي كان يقوم به الله عندما "أرسل" تلك الحيَّات المُحرِقة؟ بالانسجام مع مقاطع الكتاب المقدَّس الأخرى التي نظرنا فيها مِن قَبل، اضطرَّ الله ــ نتيجة جحود الشعب المتمرِّد ــ إلى أنْ يمنحهم الحرِّيَّة مِن تدخُّله الوقائي بالنيابة عنهم.

كيف جاءت الحيَّات المُحرِقة إلى هناك مِن الأساس؟ "[الرب إلهك] الَّذِي سَارَ بِكَ فِي الْقَفْرِ الْعَظِيمِ الْمَخُوفِ، مَكَانِ حَيَّاتٍ مُحْرِقَةٍ وَعَقَارِبَ وَعَطَشٍ حَيْثُ لَيْسَ مَاءٌ. الَّذِي أَخْرَجَ لَكَ مَاءً مِنْ صَخْرَةِ الصَّوَّانِ" (سِفر التثنية 8:15).

لقد كانت الحيَّات المُحرِقة موجودة هناك طوال الوقت بوصفها خطراً مِن المخاطر الكثيرة التي حمى الله الإسرائيليِّين منها بشكل معجزي في تلك البيئة الصحراويَّة القاسية. هذا النصّ الذي يذكر أنَّ الله قد أرسل الحيَّات المُحرقة ما كان ليُشكِّل مشكلة لو كان الله قد أرسل الدببة القطبيَّة الجائعة بدلاً مِن ذلك.

نقرأ في الكتاب المقدَّس العديد مِن الروايات التي تذكر أنَّ الله قد أرسل جيوشاً غازية أو بعض المصائب التي حلَّت بالشعب. وبالاستناد إلى هذا الفهم، سيكون مِن المعقول أنْ نستنتج أنَّ كلَّ الأخبار الواردة في الكتاب المقدَّس والتي تذكر أنَّ الله أرسل أمراً ضارَّاً، إنَّما تعني أنَّه لم يكن بالإمكان أنْ يقوم الله بمنع حدوثه مِن دون أنْ يتلاعب بأحداث السبب والنتيجة. ليس قصد الله، وليست هي طبيعته، أنْ يفرض السيطرة على شؤون الإنسان.

> فَيَغَارُ الرَّبُّ لأَرْضِهِ وَيَرِقُّ لِشَعْبِهِ .وَيُجِيبُ الرَّبُّ وَيَقُولُ لِشَعْبِهِ: «هأَنَذَا مُرْسِلٌ لَكُمْ قَمْحًا وَمِسْطَارًا وَزَيْتًا لِتَشْبَعُوا مِنْهَا، وَلاَ أَجْعَلُكُمْ أَيْضًا عَارًا بَيْنَ الأُمَمِ» (يوئيل 2: 18 – 19).

> فَقَالَ لِي الْمَلاَكُ الَّذِي كَلَّمَنِي: «نَادِ قَائِلًا: هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ: غِرْتُ عَلَى أُورُشَلِيمَ وَعَلَى صِهْيَوْنَ غَيْرَةً عَظِيمَةً» (زكريَّا 1: 14).

> فَإِنِّي أَغَارُ عَلَيْكُمْ غَيْرَةَ اللهِ، لأَنِّي خَطَبْتُكُمْ لِرَجُلٍ وَاحِدٍ، لأُقَدِّمَ عَذْرَاءَ عَفِيفَةً لِلْمَسِيحِ .وَلكِنَّنِي أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ (كورنثوس الثانية 11: 2، 3).

إنَّ غيرة الله هي غيرة لا تعرف الأنانيَّة بأيِّ شكل مِن الأشكال. إنَّ الله غيور لأجل الآخرين، وليس لأجل نفسه.

> وَعَادَ فَحَمِيَ غَضَبُ الرَّبِّ عَلَى إِسْرَائِيلَ، فَأَهَاجَ عَلَيْهِمْ دَاوُدَ قَائِلًا: «امْضِ وَأَحْصِ إِسْرَائِيلَ وَيَهُوذَا». فَقَالَ الْمَلِكُ لِيُوآبَ رَئِيسِ الْجَيْشِ الَّذِي عِنْدَهُ: «طُفْ فِي جَمِيعِ أَسْبَاطِ إِسْرَائِيلَ مِنْ دَانَ إِلَى بِئْرِ سَبْعٍ وَعُدُّوا الشَّعْبَ، فَأَعْلَمَ عَدَدَ الشَّعْبِ». فَقَالَ يُوآبُ لِلْمَلِكِ: «لِيَزِدِ الرَّبُّ إِلهُكَ الشَّعْبَ أَمْثَالَهُمْ مِئَةَ ضِعْفٍ، وَعَيْنَا سَيِّدِي الْمَلِكِ نَاظِرَتَانِ. وَلكِنْ لِمَاذَا يُسَرُّ سَيِّدِي الْمَلِكُ بِهذَا

الأَمْرِ؟» فَاشْتَدَّ كَلاَمُ الْمَلِكِ عَلَى يُوآبَ وَعَلَى رُؤَسَاءِ الْجَيْشِ، فَخَرَجَ يُوآبُ وَرُؤَسَاءُ الْجَيْشِ مِنْ عِنْدِ الْمَلِكِ لِيَعُدُّوا الْشَعْبَ، أَيْ إِسْرَائِيلَ (صموئيل الثاني 24: 1 – 4).

إنَّ داود، عندما قام بإحصاء إسرائيل، كان يُظهِر الكبرياء وعدم الثقة بالله مِن خلال النظر إلى عديد جيشه البشري والقوَّة العسكرية لأجل حماية إسرائيل. وهذا، في واقع الحال، استبعد عنهم حماية الله التي خلت مِن العنف، ممَّا جعلهم عرضة لأعدائهم وللتهديدات الأخرى. حتَّى يوآب المتمرّس بالقتال رأى الخطر في طلب الملك إحصاء إسرائيل واستفسر منه بخصوص ذلك.

لقد أهاج اللهُ داود عليهم. هل يمكن أنْ تكون هناك مشكلة في فهم هذه العبارة كما وردت في النصّ؟ هل همس الله في أذن داود ليقوم بِعَدِّ إسرائيل حتَّى يكون لديه عذر جيِّد للانقلاب عليهم؟ دعونا نلقي نظرة على هذه الآية في ضوء ما تعلَّمناه حتَّى الآن عن تعاملات الله.

لا يقوم الله بدور فعَّال في الخراب والدمار، ولا يثير الشرور، ولكنْ هناك مَن يقوم بذلك. هل مِن الممكن أنْ يكون الله، في هذه الحادثة، قد "أهاج" داود ودفعه لإحصاء إسرائيل مِن خلال عدم منعه مِن القيام بذلك؟ وهل سيكون مِن المبالغة القول أنَّ مَن كان يهمس في أذن داود لم يكن الله بل الشيطان؟ كيف يمكننا أنْ نعلم ذلك؟ يمكننا أنْ نقرأ عن هذه الحادثة بالذات في سِفر أخبار الأيَّام الأوَّل: "وَوَقَفَ الشَّيْطَانُ ضِدَّ إِسْرَائِيلَ، وَأَغْوَى دَاوُدَ لِيُحْصِيَ إِسْرَائِيلَ" (أخبار الأيَّام الأوَّل 21: 1).

قد نتساءل لماذا لا يصرّح الكتاب المقدس ويذكر بالضبط ما الذي حدث في كلِّ لقاء قد ذُكِر على صفحاته؛ ألن يجعل هذا الأمر دراسة الكتاب المقدَّس أبسط بكثير؟ نعم. ومع ذلك، فإنَّ مشكلة التواصل بين الله والبشريَّة لم تكن أبداً بسبب قلَّة الفهم مِن جانِب الله، ولكنْ بسبب قلَّة فهمنا نحن. إنَّ الله، بحكمته، يمنحنا الخيار في أنْ نقبل الحقَّ المُعلن عنه أو أنْ نرفضه. لقد كُتب الكتاب المقدَّس مع أخذ هذا المبدأ الهام بالحسبان. عندما تتاح لنا فرصة أنْ نفهم الحقَّ المُخلِّص الذي يخصُّ الله ونرفض قبوله، فإنَّ المزيد مِن النور لن يقوم إلَّا بإبعادنا عنه أكثر. إنَّ الغموض الذي يطفو على سطح الكتاب المقدَّس يسمح بتفسيرات متعارضة لذلك السبب. ليس مِن صفات الله أنْ يقنعنا ــ ضدَّ إرادتنا ــ بأنْ نؤمن به وبمحبَّته التي لا تقبل المساومة. في الوقت نفسه، يقدِّم الكتاب المقدَّس أدلَّة وفيرة لأولئك الذين يبحثون عن إلهنا الرؤوف كيما يجدوه.

وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ.

(إرميا 29: 13).

14

كيف يشنُّ الله الحروب؟

إنَّ الله يشنُّ الحرب على الشرّ بالحقّ والمحبَّة والرحمة والغفران.

> مَنْ يَفْعَلُ الْخَطِيَّةَ فَهُوَ مِنْ إِبْلِيسَ، لأَنَّ إِبْلِيسَ مِنَ الْبَدْءِ يُخْطِئُ. لأَجْلِ هذَا أُظْهِرَ ابْنُ اللهِ لِكَيْ يَنْقُضَ أَعْمَالَ إِبْلِيسَ (يوحنَّا الأولى 3: 8).

إنَّ عمل الشيطان منذ بداية تمرُّده كان توجيه التُّهَم لله وإساءة تمثيله. لقد قضى يسوع، ابن الله، على عمل الشيطان مِن خلال إظهار أنَّ اتِّهاماته ضدَّ الله كانت مجرَّد كذبة.

> لِمَاذَا لاَ تَفْهَمُونَ كَلاَمِي؟ لأَنَّكُمْ لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَسْمَعُوا قَوْلِي .أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ (يوحنَّا 8: 43 – 44).

يؤكِّد يسوع أنَّ سلاح الشيطان الأساسي هو استخدامه للأكاذيب. "لاَ يُمْكِنُ أَنَّ اللهَ يَكْذِبُ" (عبرانيّين 6: 18)؛ إنَّه يحارب أكاذيب الشيطان بالحقّ.

> الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ .فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ. مِنْ أَجْلِ ذلِكَ احْمِلُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تُقَاوِمُوا فِي الْيَوْمِ الشِّرِّيرِ، وَبَعْدَ أَنْ تُتَمِّمُوا كُلَّ شَيْءٍ أَنْ تَثْبُتُوا. فَاثْبُتُوا مُمَنْطِقِينَ أَحْقَاءَكُمْ بِالْحَقِّ، وَلاَبِسِينَ دِرْعَ الْبِرِّ، وَحَاذِينَ أَرْجُلَكُمْ بِاسْتِعْدَادِ إِنْجِيلِ السَّلاَمِ. حَامِلِينَ فَوْقَ الْكُلِّ تُرْسَ الإِيمَانِ، الَّذِي بِهِ تَقْدِرُونَ أَنْ تُطْفِئُوا جَمِيعَ سِهَامِ الشِّرِّيرِ الْمُلْتَهِبَةِ .وَخُذُوا خُوذَةَ الْخَلاَصِ، وَسَيْفَ الرُّوحِ الَّذِي هُوَ كَلِمَةُ اللهِ (أفسس 6: 11 – 17).

لقد أظهر لنا يسوع كيف نستخدم درع الله: الأخبار السارَّة عن الحقّ الإلهي ("ممنطقين أحقاءكم بالحقّ")، والتزامه بالوفاء بالأمانة المبنيَّة على العهد ("درع البِرّ")، ورسالة المصالحة مع أبينا السماوي ("إنجيل السلام")، والثقة بصدق الله ("درع الإيمان")، والوعد

بالحياة الأبديَّة للذين نالوا الحرّيَّة مِن عبوديَّة الشيطان وأكاذيبه ("خوذة الخلاص"). وهنا يتمُّ تشجيعنا أيضاً لأنْ نحمل السلاح نفسه الذي استخدمه يسوع ـ أي كلمة الله ("سيف الروح").

> لاَ تَنْتَقِمُوا لأَنْفُسِكُمْ أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، بَلْ أَعْطُوا مَكَانًا لِلْغَضَبِ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «لِيَ النَّقْمَةُ أَنَا أُجَازِي يَقُولُ الرَّبُّ. فَإِنْ جَاعَ عَدُوُّكَ فَأَطْعِمْهُ. وَإِنْ عَطِشَ فَاسْقِهِ. لأَنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ هذَا تَجْمَعْ جَمْرَ نَارٍ عَلَى رَأْسِهِ». لاَ يَغْلِبَنَّكَ الشَّرُّ بَلِ اغْلِبِ الشَّرَّ بِالْخَيْرِ (رومية 12: 19: – 21).

ما هي نقمة الله؟ إنَّ الله يتغلَّب على الشرّ بالخير، ويدعو أبناءه إلى القيام بالأمر نفسه. إنَّ معاملة أعدائنا بلطف بدلاً مِن الانتقام يشبه وضع كومة "جمر نار" على رؤوسهم. إنَّ الانتقام مِن الأعداء معناه أنْ يغلبنا الشرُّ. ولكنْ، هناك طريقة للتغلُّب بفعاليَّة على الشرّ "بالخير". هذه هي طريقة الله في القتال.

> فَقَالَ يَسُوعُ: «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ، لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لوقا 23: 34).

إنَّ كلمات يسوع هذه قد قيلت لصالحنا. لا يحتاج الآب إلى أنْ يقنعه أحد بالغفران. المشكلة ليست في الله، بل فينا نحن، لأنَّنا نعتقد أنَّ الله مِثلنا. عندما تكلَّم يسوع بهذه الكلمات، "يا أبتاه، اغفر لهم، لأنَّهم لا يعلمون ماذا يفعلون"، لم يكن يتحدَّث فقط بالنيابة عن الذين علَّقوه على الصليب؛ لقد كان يتحدَّث بالنيابة عنَّا أيضاً. يريدنا الله أنْ نعرف أنَّه يفهم مأزقنا (وهو أنَّنا لا نعلم ماذا نعمل)؛ وهو ما يزال يحبُّنا دون قيد أو شرط ويعمل بلا كلل ليخلِّصنا.

> وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. ضِدَّ أَمْثَالِ هذِهِ لَيْسَ نَامُوسٌ.
>
> (غلاطية 5: 22 – 23).

15

سدُّوم وعمُّورة

يُعتقد أنَّ الدمار الذي حلَّ بسدُّوم وعمُّورة هو المثال الكلاسيكي على إله غاضب يُمطر الخراب والموت على شعب شرّير. إذا أخذنا رواية الأحداث كما ذُكِرَت في الكتاب المقدَّس، فإنَّ ما يبدو أنَّه حدث هو التالي: تقع المدينتان في منطقة زراعيَّة وتجاريَّة مزدهرة، وهكذا أصبحت الحياة سهلة نسبيّاً بالنسبة للسكَّان. كان لدى الناس قدر كبير مِن وقت الفراغ، وأصبحت الأنشطة الشرّيرة شائعة بينهم. نظر الله مِن السماء، وثار غضبه مِن استفحال شرورهم. ولكنَّه امتنع عن اتِّخاذ أيِّ إجراء لفترة مِن الوقت. لكنَّ الفساد أصبح في النهاية شديداً لدرجة أنَّ صبر الله كان قد استنفذ، فأرسل تحذيراً إلى لوط البارّ وأبناء أسرته لكي يغادروا سدُّوم. ثمَّ أمطر الله مِن السماء ناراً وكبريتاً في عرض غضب مدهش. لاقى الرجال والنساء والأطفال موتاً فظيعاً. تمَّت إبادة سدُّوم وعمُّورة، وتمَّ استيفاء الانتقام الإلهي.

دعونا الآن نلقي نظرة أخرى على هذا الحدث نفسه، وذلك على أساس أنَّ الله لا يقوم بدور فاعل في الخراب والهلاك. تخيَّلوا المدينتين بالمقيمين فيهما مِن السكَّان الذين كان يقضون أوقاتهم في خدمة الذات والتمتُّع بالرخاء والملذَّات: "هذَا كَانَ إِثْمَ أُخْتِكِ سَدُومَ: الْكِبْرِيَاءُ وَالشَّبَعُ مِنَ الْخُبْزِ وَسَلاَمُ الاطْمِئْنَانِ كَانَ لَهَا وَلِبَنَاتِهَا، وَلَمْ تُشَدِّدْ يَدَ الْفَقِيرِ وَالْمِسْكِينِ" (حزقيال 16: 49). لم يدرك الناس أنَّ العوامل البركانيَّة كانت تتشكَّل تحت مدنهم (والتي كانت قد بُنِيَت في منطقة غير مستقرَّة جيولوجيَّاً). كما أنَّهم لم يدركوا أنَّ الإله غير المنظور، الذين كانوا يرفضونه، هو نفسه الإله الذي كان يحميهم حتَّى ذلك الحين مِن الكارثة المحيطة بهم. وأخيراً جاء اليوم عندما كان لا بدَّ مِن أنْ يعترف الله برغبتهم في الاستقلال عنه. وتأييداً لحرّيَّتهم سمح لهم على مضض بأنْ يرحلوا عنه، حيث تركهم دون حماية مِن قوى الطبيعة الخارجة عن سيطرته. تفتَّحت الشقوق تحت سطح الأرض لتنفجر نحو الأعلى قاذفة معها الصخور المنصهرة إلى مسافة وصلت إلى آلاف الأمتار في الهواء، "فأمطر الرَّبُّ على سدُّوم وعمُّورة كبريتاً وناراً مِن عند الرَّبِّ مِن السماء" (سِفر التكوين 19: 24)، وهذا ما جاء بالخراب على سدُّوم وعمُّورة في غضون دقائق.

إنَّ عمل الله المتمثِّل في تدمير المدينتين كان بمثابة منح السكَّان الحرّيَّة الحقيقيَّة ــ بما في ذلك حرّيَّة اتِّخاذ خيارات لها عواقب كارثيَّة: "أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَيَاةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَيَاةَ لِكَيْ تَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ، إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ

وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ وَتَلْتَصِقُ بِهِ، لأَنَّهُ هُوَ حَيَاتُكَ وَالَّذِي يُطِيلُ أَيَّامَكَ لِكَيْ تَسْكُنَ عَلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ إِيَّاهَا" (سِفر التثنية 30: 19 – 20).

إنَّ الموت والأمراض والحوادث والحروب والكوارث الطبيعية، وما إلى ذلك، تحدث لأسباب عديدة. غالباً ما نكون نحن مسؤولين بشكل مباشر، وأحياناً يكون الشيطان هو المسؤول، وأحياناً يقع اللوم على قوى الطبيعة في فترة ما بعد الطوفان. وفي كثير مِن الأحيان، تتدخَّل مجموعة مِن العوامل المساهمة. وبما أنَّنا لا نستطيع أنْ نرى بوضوح سبب وقوع حالة معيَّنة مِن المعاناة، فإنَّنا نميل إلى لوم الله على ذلك. فهل هذا الأمر عادل؟ وهل هو معقول؟ إنَّ نزعتنا لإلقاء اللوم وُجدت معنا منذ وقت بعيد. متى وأين بدأ هذا التهرُّب مِن المسؤولية؟ "فَقَالَ آدَمُ: «الْمَرْأَةُ الَّتِي جَعَلْتَهَا مَعِي هِيَ أَعْطَتْنِي مِنَ الشَّجَرَةِ فَأَكَلْتُ». فَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ لِلْمَرْأَةِ: «مَا هذَا الَّذِي فَعَلْتِ؟» فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: «الْحَيَّةُ غَرَّتْنِي فَأَكَلْتُ»" (سِفر التكوين 3: 12 – 13).

يَا رَبُّ، فِي السَّمَاوَاتِ رَحْمَتُكَ. أَمَانَتُكَ إِلَى الْغَمَامِ. عَدْلُكَ مِثْلُ جِبَالِ اللهِ، وَأَحْكَامُكَ لُجَّةٌ عَظِيمَةٌ. النَّاسَ وَالْبَهَائِمَ تُخَلِّصُ يَا رَبُّ. مَا أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يَا اَللهُ! فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَنَاحَيْكَ يَحْتَمُونَ.

(سِفر المزامير 36: 5 – 7).

16

ماذا عن الطوفان؟

ماذا عن طوفان نوح؟ إذا لم يكن الله هو سبب الدمار والهلاك، فما الذي حدث وأدَّى إلى وقوع أكبر كارثة في عالَمنا؟ ما هو الدليل الذي يمكن أن نجده في الكتاب المقدَّس وفي أماكن أخرى، والذي يمكنه أنْ يقدِّم لنا تفسيراً معقولاً لِما سبَّب هذا الفيضان العالمي الهائل؟

فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ، لِزَيَغَانِهِ، هُوَ بَشَرٌ. وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً» (سِفر التكوين 6: 3).

على ما يبدو، كان الله ينظر إلى وقت ستنأى فيه البشريَّة بنفسها بعيداً عنه لدرجة أنَّه سيكون مضطرَّاً إلى السماح للبشر بالرحيل، وذلك بأنْ يرخي قبضته المتحكِّمة بقوى الطبيعة. قد نتساءل عن السبب الذي دفعه في النهاية إلى التخلِّي عن البشريَّة. هل اتَّخذ الله قراراً محسوباً للقيام بذلك، أم كان هناك عامل آخر متداخل في الأمر؟

تخيَّل أنَّ لديك جاراً يعاني مِن عدد مِن المشكلات الشخصيَّة. إنَّه يعاني مِن الناحية الماليَّة، ولديه العديد مِن المشكلات الصِّحيَّة، وهو غير قادر على المشي لأبعد مِن مجموعة قليلة مِن البنايات بعيداً عن منزله. وفوق هذا كلِّه، هو لا يملك سيَّارة، ممَّا يجعل مِن الصعب عليه القيام بالمهام الملقاة عليه وتلبية احتياجاته.

وذات يوم، تكتشف أثناء الحديث معه عن نقص ما يملكه مِن وسائل المواصلات، وتعرض عليه أنْ تقلَّه إلى متجر البقالة وأماكن أخرى. وعلى مدار الأشهر القليلة التالية، توصله في سيَّارتك لزيارة الأطبَّاء وشراء الأدوية مِن الصيدليَّة والتسوُّق في السوبر ماركت. يبدو أنَّ هذا الوضع يسير على ما يرام، وأنت سعيد لقيامك بمساعدته.

ثمَّ، في يوم صيفي دافئ، يظهر هذا الجارّ على بابك، ويبدو أنَّه في مزاج سيِّئ مضطرب ويطلب منك أنْ تقلَّه إلى أحد البنوك في الناحية الأخرى مِن المدينة. أنت تلاحظ أنَّه يحمل كيساً ورقيَّاً وقناع تزلُّج وما يشبه المسدَّس وقد لفَّه في جورب. ما الذي ستفعله في هذه الحالة؟ هل ستتمكَّن مِن أنْ تمسك بمفاتيح سيَّارتك وتندفع بمرح خارج الباب لتكون أنت السائق الذي يوصل صديقك إلى وجهته وتعود إلى المنزل؟

لدى كلٍّ منَّا خطوط حمراء لا نرغب في تجاوزها. تتعلَّق هذه الخطوط بقضايا الأخلاق وأدبيَّات التعامل بين الناس والحدود الشخصيَّة. أليس مِن المعقول أنْ نصدِّق أنْ يكون لله أيضاً خطوط لن يتخطَّاها ـ أو لا يمكنه أنْ يتخطَّاها؟

> وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ، وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ...وَفَسَدَتِ الأَرْضُ أَمَامَ اللهِ، وَامْتَلأَتِ الأَرْضُ ظُلْمًا. وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ. فَقَالَ اللهُ لِنُوحٍ: «نِهَايَةُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَتْ أَمَامِي، لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ. فَهَا أَنَا مُهْلِكُهُمْ مَعَ الأَرْضِ» (سِفر التكوين 6: 5، 11- 13).

كيف كان عالَمنا تماماً قبل الطوفان؟ أعلن الله لِنوح ما يلي، "لأَنَّ الأَرْضَ امْتَلأَتْ ظُلْمًا مِنْهُمْ" (الآية 13). إنَّ الأرض نفسها كانت تختزن الحزن في أحشائها بسبب ظلم البشر لبعضهم البعض. وسرعان ما كان سيُطلَق العنان ـ مِن خلال المصيبة القادمة ـ لِقوى في غاية العنف. كان المجتمع البشري في حالة انهيار أخلاقي: "وَرَأَى اللهُ الأَرْضَ فَإِذَا هِيَ قَدْ فَسَدَتْ، إِذْ كَانَ كُلُّ بَشَرٍ قَدْ أَفْسَدَ طَرِيقَهُ عَلَى الأَرْضِ".

كم كان عدد أتباع الله الأمناء في تلك الفترة المظلمة مِن التاريخ بشكل خاصّ؟ لا يذكر الكتاب المقدَّس سوى نوح وحده. ما كان سبب هذه الحالة المُحزِنة؟ كانت أفكار البشريَّة شرّيرة كلَّ يوم. كيف يُعرِّف الكتاب المقدَّس الشَّرَّ؟ عندما أكل آدم وحوَّاء ثمرة "شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ" (سِفر التكوين 2: 17)، تغيَّر رأيهما بشأن صلاح الله، وهذا ما يحدِّد تماماً ما هو الشَّرُّ. إنَّ ما ورثه العالَم عن أبوينا الأوَّلَين كان التصوُّر المُشوَّه الذي كان عندهما حول إلهنا الرؤوف. إنَّ سكَّان العالَم القديم الذي سبق الطوفان ظنُّوا أنَّ الله سيتغاضى عن ظلمهم. ماذا كان ردُّ الله؟ "فَحَزِنَ الرَّبُّ" (سِفر التكوين 6: 6).

لقد أوصلَ الجنسُ البشريُّ اللهَ إلى الخطِّ الذي لم يكن بإمكانه تجاوزه دون أنْ يصير هو ذاته مشتركاً بشكل لا إراديّ في الظلم نفسه. كان لا بدَّ لله مِن أنْ يُرخي قبضته على العالم الطبيعي. عندما انتهت فترة 120 عاماً وكان ركَّاب الفلك في أمان، بدأ المطر بالهطول، حيث فاضت السيول لمدَّة أربعين يوماً وأربعين ليلة. ما الذي سبَّب هذا الطوفان الهائل؟ نجد أدلَّة مهمَّة في الإصحاح الأوَّل مِن سِفر التكوين:

> وَقَالَ اللهُ: «لِيَكُنْ جَلَدٌ فِي وَسَطِ الْمِيَاهِ. وَلْيَكُنْ فَاصِلًا بَيْنَ مِيَاهٍ وَمِيَاهٍ». فَعَمِلَ اللهُ الْجَلَدَ، وَفَصَلَ بَيْنَ الْمِيَاهِ الَّتِي تَحْتَ الْجَلَدِ وَالْمِيَاهِ الَّتِي فَوْقَ الْجَلَدِ. وَكَانَ كَذلِكَ. وَدَعَا اللهُ الْجَلَدَ سَمَاءً. وَكَانَ مَسَاءٌ وَكَانَ صَبَاحٌ يَوْمًا ثَانِيًا (سِفر التكوين 1: 6 – 8).

ما هو الجَلَد؟ تشير كلمة (الجَلَد) إلى فسحة أو قبو أو قبَّة. والقبَّة تشير إلى غطاء معلَّق فوق الأرض أو مثبَّت في السماء أو في الغلاف الجوّي. يواصل هذا المقطع وصف هذه القبَّة على أنَّها تفصل بين المياه التي تحت القبَّة وكمِّيَّة كبيرة مِن المياه فوقها.

إنَّ غطاءً ضخماً مِن بخار الماء أحاط بالغلاف الجوّي للأرض بأكملها كدفيئة عملاقة، وهذا ما منح عالَمنا مناخاً استوائيّاً معتدلًا ولطيفاً مِن القطب الشمالي وصولاً إلى القطب الجنوبي. لقد عُثِر في المناطق القطبيَّة على بقايا متحجِّرة لنباتات وحيوانات تعيش فقط في المناخ الدافئ، ممَّا يدلُّ على أنَّ مِثل هذا المناخ كان موجوداً على كوكبنا. يقدِّم الكتاب المقدَّس أيضاً إشارة مهمَّة أخرى إلى مناخ الأرض في تلك الأيَّام الأولى:

> هذِهِ مَبَادِئُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ حِينَ خُلِقَتْ، يَوْمَ عَمِلَ الرَّبُّ الإِلهُ الأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ. كُلُّ شَجَرِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَكُنْ بَعْدُ فِي الأَرْضِ، وَكُلُّ عُشْبِ الْبَرِّيَّةِ لَمْ يَنْبُتْ بَعْدُ، لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ كَانَ إِنْسَانٌ لِيَعْمَلَ الأَرْضَ. ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ (سِفر التكوين 2: 4 – 6).

تشير هذه الآيات إلى عالَم مختلف تماماً عن العالَم الذي نعرفه اليوم. "لأَنَّ الرَّبَّ الإِلهَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أَمْطَرَ عَلَى الأَرْضِ... ثُمَّ كَانَ ضَبَابٌ يَطْلَعُ مِنَ الأَرْضِ وَيَسْقِي كُلَّ وَجْهِ الأَرْضِ". تتمتَّع الأرض بمناخ رطب دافئ ومعتدل بشكل ممتاز، دون حدوث تغيُّرات مفاجئة في درجة الحرارة. وفي ظلِّ درجات حرارة كهذه، لن تكون هناك عواصف رعدية ولا أعاصير، ولن يسقط بَرَد أو ثلج، وعلى ما يبدو لن يهطل مطر. ومِن المحتمل أيضاً أنَّ سطح الأرض نفسه كان أكبر بكثير ممَّا هو عليه اليوم، مع عدم وجود جبال شاهقة أو أخاديد عميقة في البحار. بالإضافة إلى ذلك، ما كان الماء يغطِّي سوى مساحة قليلة جدّاً مِن سطح الأرض.

ما الذي أبقى كلَّ تلك المياه معلَّقة في الغلاف الجوّي؟ وما هي الآليَّة التي أدَّت إلى حدوث الطوفان؟ نعلم مِن الملاحظة البسيطة أنَّ الحرارة تتسبَّب في ارتفاع الماء. إنَّ الماء الساخن في غلَّاية على النار يخرج مِن الفوَّهة على شكل بخار. تتخلَّص المسطَّحات المائيَّة على كوكبنا مِن كمِّيَّة هائلة مِن جزيئات الماء كلَّ يوم. وكلَّما تمَّ تطبيق المزيد مِن الحرارة، زادت سرعة انطلاق تلك الجزيئات. يتبخَّر عدد قليل نسبيَّاً مِن جزيئات الماء مِن سطح بحيرة متجمِّدة في منتصف الشتاء مقارنة بيوم صيفي حارّ.

ماذا لو كان هناك المزيد مِن الطاقة الحراريَّة المتاحة قبل الفيضان؟ ألن يدعم ذلك المزيدَ مِن الماء في الغلاف الجوّي؟ تحصل أرضنا تقريباً على كلّ طاقتها الحراريَّة مِن الشمس. وبدون الشمس سيصبح عالمنا متجمِّداً للغاية مع درجة حرارة تقترب مِن الصفر المطلق عند السطح.

عندما خلق الله عالَمنا، قام بتشغيل نظام طاقة حراريَّة دقيق بشكل مذهل وقادر على تعليق كمِّيَّة هائلة مِن الماء في الغلاف الجوّي. وكان المفروض أنْ تكون الشمس آليَّة رئيسيَّة في تشغيل هذا النظام. مِن المنطقي أيضاً الاعتقاد بأنَّ الشمس قبل الفيضان كان يصدر عنها حرارة أكثر ممَّا يصدر عنها اليوم. وإذا كان هذا صحيحاً، فمِن المنطقيّ أنْ نعتقد أنَّ إجمالي الطاقة الصادرة عن الشمس كان سيتأثَّر عندما كان لا بدَّ أنْ يرفع الله قبضته عن العالَم الطبيعي.

لقد تعطَّل التوازن الدقيق القائم في الغلاف الجوّي، "فِي سَنَةِ سِتِّ مِئَةٍ مِنْ حَيَاةِ نُوحٍ، فِي الشَّهْرِ الثَّانِي، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ، وَانْفَتَحَتْ طَاقَاتُ السَّمَاءِ. وَكَانَ الْمَطَرُ عَلَى الأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً" (سِفر التكوين 7: 11 – 12). بدأ سقوط قطرات المطر الأولى في التاريخ، وهكذا سقطت على الأرض في نهاية المطاف آلاف الأميال المكعَّبة مِن الماء.

وتزامَنَ عدم الاستقرار الجيولوجي مع عدم الاستقرار في الغلاف الجوي، ممَّا تسبَّب في زيادة ضغط الماء في الخزَّانات الجوفيَّة: "فِي ذلِكَ الْيَوْمِ، انْفَجَرَتْ كُلُّ يَنَابِيعِ الْغَمْرِ الْعَظِيمِ" (سِفر التكوين 7: 11). هذه "الينابيع" ساهمت بالمزيد مِن الماء الذي أحدَثَ الطوفان.

لم ينجُ مِن الطوفان سوى ثمانية أشخاص في الفلك: نوح وعائلته. كانت العديد مِن أجناس الحيوانات على متن السفينة الضخمة بغرض إعادة توطين العالَم بعد الطوفان بكلّ نوع مِن تلك الحيوانات.

ما تزال بقايا الفلك المتحجِّرة محفوظة في متنزَّه وطني مخصَّص لحماية الموقع الذي رسا عليه الفلك في شرقي تركيا، بالقرب مِن مدينة (دوجوبايازيت) الصغيرة. إنَّ هذا الاكتشاف الأثري الاستثنائي الذي تمَّ في جبال أرارات دليلٌ دامغ على أنَّ ما ورد في الكتاب المقدَّس حول الفيضان العظيم ليس قصَّة خرافيَّة، ولكنَّه تاريخ موثوق به يؤرِّخ لِلكارثة الطبيعية نفسها في جميع أنحاء العالَم:

وَرَجَعَتِ الْمِيَاهُ عَنِ الأَرْضِ رُجُوعًا مُتَوَالِيًا. وَبَعْدَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ يَوْمًا نَقَصَتِ الْمِيَاهُ، وَاسْتَقَرَّ الْفُلْكُ فِي الشَّهْرِ السَّابِعِ، فِي الْيَوْمِ السَّابِعَ عَشَرَ مِنَ الشَّهْرِ، عَلَى جِبَالِ أَرَارَاطَ.

(سِفر التكوين 8: 3 – 4).

17

شهادة الصليب

مِن خلال الفهم الصحيح لأعمال الله في العهد القديم يمكننا أنْ نتأكَّد مِن أنَّه لا يُهلِك أحداً ـ بغضّ النظر عن الظروف. ومع ذلك، فإنَّ الدليل الأكثر إقناعاً على أنَّ الله لا يقترب مِن الخاطئ بهدف إهلاكه موجود في العهد الجديد.

إنَّ الاعتقاد بأنَّ يسوع قد مات مِن أجلنا على الصليب يحظى بإجماع شبه عالمي بين طَلبة الكتاب المقدَّس، على الرغم مِن وجود وجهات نظر مختلفة حول الطريقة التي يخلِّصنا بها موت يسوع. ومع ذلك، يعتقد معظمهم أنَّ يسوع، عندما مات على الصليب، قد اختبر ما كان مكتوباً علينا أنْ نختبره لو لم يكن قد تدخَّل للتضحية بنفسه نيابةً عنَّا.

إذا كان هذا صحيحاً، فإنَّنا سنتوقَّع أنْ نكتشف أنَّ يسوع قد مات بنفس الطريقة التي كنَّا نحن سنموت بها، وذلك بحسب ما "يفعله" الله لتنفيذ الحكم بالموت. إذا كنَّا نعتقد أنَّ الله هو الذي يُهلِك الخاطئ، فإنَّنا سنتوقَّع أيضاً أنْ يكون الله الآب قد اقترب مِن يسوع بغرض قتله. فهل هذا ما نجده؟ يقدِّم إنجيل متَّى وصفاً مفصَّلاً لصلب المسيح. ماذا كانت كلمات يسوع الأخيرة قبل موته بلحظات؟ "إِلهِي، إِلهِي، لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" (متَّى 27: 46).

تكشف هذه الآية كيف مات يسوع. لقد سمح الله الآب لابنه بأنْ يختبر ما كان سيختبره كلُّ مَن سيرفض حبَّه في النهاية ـ أي الانفصال عنه، وهو واهب الحياة. إنَّ الله الآب لم يقتل يسوع، بل خطايانا هي التي قامت بذلك: "لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ" (رومية 6: 23). إنَّ الخطيئة قادرة تماماً بمفردها على التسبُّب بالموت، دون أيَّة مساعدة مِن الله. إنَّ الحياة بكلّ أشكالها مِن دون استثناء تأتي مِن عند الله. الموت هو نتيجة للخطيئة مِن دون استثناء. أنْ نتخيَّل أنَّ الله هو مصدر الموت هو أمر غير منطقيّ، ولا استثناء لهذه القاعدة.

لا يمكن في هذا المجلَّد الصغير أنْ نفحص كلَّ نص مِن النصوص التي تنسب الهلاك والمعاناة لله. ومع ذلك، فإنَّ المقاطع التي نظرنا فيها هي مفتاح الفهم الصحيح لدور الله في الموت والكوارث المذكورة في الكتاب المقدَّس. إنَّ الكتاب المقدَّس يفسِّر نفسه بنفسه. عندما يرفع الكتاب المقدَّس الستار عن نصٍّ معيَّن لتوضيح أعمال الله، يمكننا استخدام ذلك كمفتاح لنفهم نصوص أخرى غير واضحة (كما هو الحال عندما يبدو أنَّ نصَّين مِن الكتاب المقدَّس يتعارضان فيما بينهما). بالإضافة إلى ذلك، فإنَّ كلمات الله عن ذاته تستحقُّ اهتماماً خاصّاً، على سبيل المثال: "لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ" (ملاخي 3: 6). أخيراً، إنَّ الحقَّ الذي علَّمه

يسوع وأظهره حول الله هو خارطة طريق دقيقة لتصفُّح الكتاب المقدَّس بأكمله مِن سِفر التكوين إلى سِفر الرؤيا.

لِيَحِلَّ الْمَسِيحُ بِالإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ، وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلُوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ.

(أفسس 3: 17 – 19).

18

ليس الله بطاغية

هناك أخبار رائعة لكلِّ مَن اطَّلع على مذهب الجحيم الأبدي. إنَّ هذه العقيدة لا تدعمها دراسة شاملة للكتاب المقدَّس. يصف الكتاب المقدَّس الموت على أنَّه حالة مِن عدم الوعي. إنَّه نوم مؤقَّت يستمرُّ حتَّى القيامة. وبعد ذلك الحين، فإنَّ جميع الذين رفضوا المصالحة مع الله سيحصدون ــ كنتيجة طبيعيَّة ــ عدم الوجود إلى الأبد.

لكي نتمكَّن مِن أنْ نجد في الكتاب المقدَّس ما يدعم وجود مكان عذاب تحترق فيه النار إلى الأبد، سيكون علينا أنْ نقوم بذلك عن طريق تحوير الكلمات التي ينبغي أنْ تكون رمزية وتفسيرها تفسيراً حرفيّاً. فكلمة (نار) يمكن أنْ يكون معناها حرفي أو رمزي. في سِفر النبي دانيال، عندما ألقى نبوخذنصَّر شدرخ وميشخ وعبد نغو في فرن مِن النار المشتعلة، مِن الواضح أنَّه ألقى بهم في نار بالمعنى الحرفي للكلمة. عندما قال يوحنَّا المعمدان، الذي عمَّد بالماء، أنَّ المسيح سيعمِّد بالروح القدس ونار، كان مِن الواضح أنَّه لم يكن يشير إلى نار حرفيَّة، ولكنَّه كان يستخدم كلمة (النار) مجازيَّاً.

"إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ" وَ "اَللهُ مَحَبَّةٌ" (عبرانيّين 12: 29، 1 يوحنَّا 4:16). هاتان العبارتان تحملان معانٍ جازمة حول الله، ولكنْ هل هناك تعارض بينهما؟ نعم، ولكنْ فقط إذا نظرنا إلى النار باعتبار أنَّها نار حرفيَّة. النار هي تفاعل كيميائي. هل الله تفاعل كيميائي؟

هذه العبارات متناغمة تماماً إذا فهمنا الأثر الذي تتركه محبَّة الله على الإنسان. إنَّ محبَّة الله تلتهم الأنانيَّة. الأنانيَّة هي عكس المحبَّة الحقيقيَّة. إذا كنَّا منفتحين على محبَّة الله، فإنَّ تلك المحبَّة نفسها ستأتي إلينا لتلتهم الأنانيَّة القاتلة مِن قلوبنا. هذه الخبرة هي خبرة مانحة للحياة.

إذا قاومنا محبَّة الله وتمسَّكنا بأنانيَّتنا بدلاً مِن ذلك، فإنَّ تلك المحبَّة ذاتها ستكون لنا مصدر عذاب. سنسعى لنبتعد عن الله، أو حتَّى لنفرَّ أو نختبئ مِنه. كانت تلك هي تجربة آدم وحوَّاء بعد أنْ صدَّقا كلام الكذب الذي قالته الحيَّة عن الله. وعندما نفهم الأمر بهذه الطريقة، سنتمكَّن مِن أنْ نرى أنَّ محبَّة الله هي نارٌ آكِلة.

في بعض الأحيان يُستخدم مَثل يسوع عن الرجل الغني ولعازر لدعم العقيدة التي تقول بوجود مكان عذاب بالمعنى الحرفي:

كَانَ إِنْسَانٌ غَنِيٌّ وَكَانَ يَلْبَسُ الأَرْجُوانَ وَالْبَزَّ وَهُوَ يَتَنَعَّمُ كُلَّ يَوْمٍ مُتَرَفِّهًا. وَكَانَ مِسْكِينٌ اسْمُهُ لِعَازَرُ، الَّذِي طُرِحَ عِنْدَ بَابِهِ مَضْرُوبًا بِالْقُرُوحِ، وَيَشْتَهِي أَنْ يَشْبَعَ مِنَ الْفُتَاتِ السَّاقِطِ مِنْ مَائِدَةِ الْغَنِيِّ، بَلْ كَانَتِ الْكِلاَبُ تَأْتِي وَتَلْحَسُ قُرُوحَهُ. فَمَاتَ الْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ الْمَلاَئِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ الْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي الجَحِيمِ وَهُوَ فِي الْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ، فَنَادَى وَقَالَ: يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، ارْحَمْنِي، وَأَرْسِلْ لِعَازَرَ لِيَبُلَّ طَرَفَ إِصْبِعِهِ بِمَاءٍ وَيُبَرِّدَ لِسَانِي، لأَنِّي مُعَذَّبٌ فِي هذَا اللَّهِيبِ. فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: يَا ابْنِي، اذْكُرْ أَنَّكَ اسْتَوْفَيْتَ خَيْرَاتِكَ فِي حَيَاتِكَ، وَكَذلِكَ لِعَازَرُ الْبَلاَيَا. وَالآنَ هُوَ يَتَعَزَّى وَأَنْتَ تَتَعَذَّبُ. وَفَوْقَ هذَا كُلِّهِ، بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ هُوَّةٌ عَظِيمَةٌ قَدْ أُثْبِتَتْ، حَتَّى إِنَّ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْعُبُورَ مِنْ ههُنَا إِلَيْكُمْ لاَ يَقْدِرُونَ، وَلاَ الَّذِينَ مِنْ هُنَاكَ يَجْتَازُونَ إِلَيْنَا. فَقَالَ: أَسْأَلُكَ إِذًا، يَا أَبَتِ، أَنْ تُرْسِلَهُ إِلَى بَيْتِ أَبِي، لأَنَّ لِي خَمْسَةَ إِخْوَةٍ، حَتَّى يَشْهَدَ لَهُمْ لِكَيْلاَ يَأْتُوا هُمْ أَيْضًا إِلَى مَوْضِعِ الْعَذَابِ هذَا. قَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ: عِنْدَهُمْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءُ، لِيَسْمَعُوا مِنْهُمْ. فَقَالَ: لاَ، يَا أَبِي إِبْرَاهِيمَ، بَلْ إِذَا مَضَى إِلَيْهِمْ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يَتُوبُونَ. فَقَالَ لَهُ: إِنْ كَانُوا لاَ يَسْمَعُونَ مِنْ مُوسَى وَالأَنْبِيَاءِ، وَلاَ إِنْ قَامَ وَاحِدٌ مِنَ الأَمْوَاتِ يُصَدِّقُونَ (لوقا 16: 19 – 31).

ضرب يسوع هذا المثل ليوضّح تأثير أنانيَّة الإنسان ولا مبالاته تجاه أخيه الإنسان. كان يسوع يخاطب الفرّيسيّين الذين اعتبروا أنفسهم أبراراً، وقد ضمَّن في مَثله مفاهيم خاطئة كانت شائعة الانتشار حول الحياة بعد الموت.

ربط اليهود الثروة بالبَركة الإلهيَّة. كانوا يعتبرون في أذهانهم أنَّ الفقير، خصوصاً ذلك الفقير الذي كان يعاني مِن بعض الآلام الجسديَّة، كان ملعوناً مِن الله. الفكرة هي أنَّ الشخص استحقَّ نصيبه مِن الدنيا بسبب الخطيئة أو بعض النقص الروحي. أمَّا الأغنياء، مِن ناحية أخرى، فقد ضَمِنوا مِن الله رضا ونعمة خاصَّة. كانت ثروة الشخص أو مركزه الاجتماعي ــ حسب طريقة تفكير الفريسيّين ــ مقياساً صحيحاً لمكانته لدى الله. وضربَ لهم يسوع هذا المثل ليفضح مغالطة هذا المنظور القاسي والضيّق.

أوَّلاً، سنلقي نظرة على بعض تفاصيل القصَّة. وجد لعازر المتسوّل نفسه ــ بعد موته ــ في وضع مريح في "حِضْنِ إبراهيم". ومات الغنيُّ أيضاً، وانتهى به المطاف في الجحيم ليعاني العذاب. وإذا به ينظر إلى الأعلى ويرى إبراهيم ولعازر مِن على بعد. ويتبع ذلك محادثة بين الغني و "أبيه إبراهيم".

دعونا نفحص الآن هذه القصَّة بعناية مِن خلال طرح بعض الأسئلة العميقة:

- أين يوجد إبراهيم ولعازر بحسب القصَّة؟
- لو كان إبراهيم ولعازر في الجنَّة أو النعيم، فكيف تمكَّن إبراهيم مِن أنْ يُجري محادثة مع الغنيّ الذي كان في الجحيم، وكيف تمكَّن الغنيُّ مِن أنْ يراه؟
- ولو كان إبراهيم ولعازر في الجحيم، فماذا كانا يفعلان هناك؟
- وإذا لم يكن إبراهيم ولعازر في الجنة ولا في الجحيم، فأين كانا بالحقيقة؟
- أيَّةُ راحة يمكن أنْ توفِّرها بضع قطرات مِن الماء بالنسبة لشخص يُعذَّب في جحيم مِن النار؟
- هل تمكَّن لِعازر مِن أنْ يرى ذلك الإنسان الغني يُعذَّب في الجحيم وأنْ يسمع مناشداته؟
- كيف كان لعازر يتعزَّى في حضن إبراهيم؟
- هل كان لعازر يتعزَّى بالرغم مِن إدراكه الواضح لمعاناة الغني أم أنَّه كان يشعر بالراحة بسبب إدراكه لتلك المعاناة؟
- هل تمَّ تحريض لعازر على تبنِّي شعور بعدم مبالاة قاسية تجاه الإنسان الغني بعد أن انقلبتْ أوضاعهما؟
- ما مدى اتِّساع "الهوَّة العظيمة" التي تمنع الانتقال بين المكانَين؟
- إلى أيِّ مدى كان ينبغي أنْ تكون تلك الهوَّة العظيمة واسعة بحيث تمنع الاتِّصال بين الجحيم ومكان إبراهيم ولعازر؟
- إلى أيِّ مدى كان ينبغي أنْ تكون تلك الهوَّة العظيمة واسعة بحيث تمنع أولئك الموجودين على جانب الهوَّة المريح مِن إدراك معاناة أولئك الذين يتعذَّبون في الجحيم؟ ثلاثمائة متر؟ ثلاثمائة ميل؟ هل يتَّسع الكون بما يكفي لذلك؟
- هل مِن المعقول أنْ نستنتج أنَّ يسوع كان يؤيِّد عقيدة الجحيم الأبديّ باعتبار أنَّه أشارَ إلى الجحيم في مَثَل الغنيّ ولعازر؟

ألا يبدو مِن المعقول أنْ نستنتج أنَّ يسوع قد استعان في مَثَله بمفهوم يقول بوجود مكان مِن العذاب، حيث يحترق الأشرار إلى الأبد لكي يُزيل هذه العقيدة البشعة بدلاً مِن أنْ يؤيِّدها؟ لقد كان يسوع يعلِّم أنَّه سيكون مِن المستحيل بالنسبة للذين سيعيشون إلى الأبد أن يحصلوا على سلامٍ تامٍّ وسعادة حقيقيَّة إذا كان هناك جحيم بالمعنى الحرفي في أيِّ مكان في الكون.

إنَّ العقيدة التي تقول بأنَّ هناك مكاناً أبديّاً للعذاب هي كذبة الشيطان التي تقدِّم إلهنا الرؤوف والرحيم والغفور والمُحِبّ على أنَّه أسوأ طاغية يمكن تخيُّله، وهي كذبة مدبَّرة بقصد إبعادنا عن أبينا السماوي. لن يكون هناك أبداً مكانٌ للعذاب الأبدي. وبدلاً مِن ذلك، نجد أنَّ الكتاب المقدَّس يتكلَّم عن يوم قادم حين ستنتهي كلُّ المعاناة إلى الأبد:

وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ. وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ» (سِفر الرؤيا 21: 3 – 4).

كثيراً ما يتساءل الكثيرون عن الشكل الذي سنعيش فيه إلى الأبد. هل سيكون لدينا أجسام بشريَّة كما لدينا الآن، أم أنَّنا سنعيش حياة بدون جسد؟ ما هي النَّفْس؟

وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ، وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً (سِفر التكوين 2: 7).

اَلنَّفْسُ الَّتِي تُخْطِئُ هِيَ تَمُوتُ (حزقيال 18: 4).

إنَّ حياتنا تتطلَّب "نسمة الحياة" أو الروح التي هي مِن عند الله. إنَّنا لا نملك أرواحاً حيَّة، بل كلُّ واحدٍ منَّا هو روح حيَّة. كما أنَّ الاعتقاد بأنَّ لدينا أرواحاً خالدة منفصلة (عن أجسادنا) هو اعتقاد لا يدعمه الكتاب المقدَّس. وعند المجيء الثاني للمسيح ستتغيَّر أجسادنا الناقصة "في طرفة عين" (كورنثوس الأولى 15: 52) لتصير كاملة.

لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ (رومية 6: 23).

ليس في كلمة الله ما يصف الموت على أنَّه أيُّ شيء آخر سوى الموت. إنَّ أسفار الكتاب المقدَّس جميعها، متى ما فُهمت بشكل صحيح، تؤكِّد أنَّ الخطيئة تؤدِّي إلى الموت، بخلاف صوت واحد يعبِّر عن رأي مخالف: "فَقَالَتِ الْحَيَّةُ لِلْمَرْأَةِ: «لَنْ تَمُوتَا!»" (سِفر التكوين 3: 4).

لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ (يوحنَّا 3: 16).

تشير كلمة "يهلك" إلى الوصول إلى حالة عدم الوجود. وهذا لا يعني الوجود في مكان آخر في حالة معاناة.

قَالَ هذَا وَبَعْدَ ذلِكَ قَالَ لَهُمْ: «لِعَازَرُ حَبِيبُنَا قَدْ نَامَ. لكِنِّي أَذْهَبُ لأُوقِظَهُ». فَقَالَ تَلاَمِيذُهُ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كَانَ قَدْ نَامَ فَهُوَ يُشْفَى». وَكَانَ يَسُوعُ يَقُولُ عَنْ

مَوْتِهِ، وَهُمْ ظَنُّوا أَنَّهُ يَقُولُ عَنْ رُقَادِ النَّوْمِ .فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ حِينَئِذٍ عَلاَنِيَةً: «لِعَازَرُ مَاتَ» (يوحنَّا 11: 11 – 14).

لقد شبَّه يسوع الموت بالنوم لأنَّ الله قادر على إحياء الإنسان مِن الموت. عندما أعاد يسوع لعازر إلى الحياة بعد أنْ كان قد أمضى أربعة أيَّام في القبر، لم يرجع لعازر مِن السماء. لقد استيقظ مِن حالة عدم الوعي، أي الموت.

تَخْرُجُ رُوحُهُ فَيَعُودُ إِلَى تُرَابِهِ. فِي ذلِكَ الْيَوْمِ نَفْسِهِ تَهْلِكُ أَفْكَارُهُ (مزمور 146: 4).

إنَّ الأفكار لا تستمرُّ في مكان آخر عند الموت.

لأَنَّهُ لَيْسَ فِي الْمَوْتِ ذِكْرُكَ. فِي الْهَاوِيَةِ مَنْ يَحْمَدُكَ؟ (مزمور 6: 5).

لأَنَّ الأَحْيَاءَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ سَيَمُوتُونَ، أَمَّا الْمَوْتَى فَلاَ يَعْلَمُونَ شَيْئًا (الجامِعة 9: 5).

عندما نموت، تتوقَّف لدينا جميع الوظائف المعرفيَّة في تلك اللحظة عينها، بما في ذلك أيُّ وعي بمرور الوقت. ستبدو لحظة القيامة آتية مباشرة بعد أنْ نكون قد لفظنا أنفاسنا الأخيرة.

لأَنَّ الرَّبَّ نَفْسَهُ بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ وَبُوقِ اللهِ، سَوْفَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَمْوَاتُ فِي الْمَسِيحِ سَيَقُومُونَ أَوَّلًا (تسالونيكي الأولى 4: 16).

هذه القيامة ستحدث عند المجيء الثاني للمسيح.

«وَهَا أَنَا آتِي سَرِيعًا وَأُجْرَتِي مَعِي لأُجَازِيَ كُلَّ وَاحِدٍ كَمَا يَكُونُ عَمَلُهُ» (سِفر الرؤيا 22: 12).

لن نحصل على مكافأتنا الأبديَّة إلى أنْ يعود يسوع ثانيةً.

الْمُبَارَكُ الْعَزِيزُ الْوَحِيدُ: مَلِكُ الْمُلُوكِ وَرَبُّ الأَرْبَابِ، الَّذِي وَحْدَهُ لَهُ عَدَمُ الْمَوْتِ (تيموثاوس الأولى 6: 15 – 16).

الخلود لله وحده، وليس لنا نحن.

هُوَذَا سِرٌّ أَقُولُهُ لَكُمْ: لاَ نَرْقُدُ كُلُّنَا، وَلكِنَّنَا كُلُّنَا نَتَغَيَّرُ، فِي لَحْظَةٍ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ، عِنْدَ الْبُوقِ الأَخِيرِ. فَإِنَّهُ سَيُبَوَّقُ، فَيُقَامُ الأَمْوَاتُ عَدِيمِي فَسَادٍ، وَنَحْنُ نَتَغَيَّرُ. لأَنَّ هذَا الْفَاسِدَ لاَبُدَّ أَنْ يَلْبَسَ عَدَمَ فَسَادٍ، وَهذَا الْمَائِتَ يَلْبَسُ عَدَمَ مَوْتٍ. وَمَتَى لَبِسَ هذَا الْفَاسِدُ عَدَمَ فَسَادٍ، وَلَبِسَ هذَا الْمَائِتُ عَدَمَ مَوْتٍ، فَحِينَئِذٍ تَصِيرُ الْكَلِمَةُ الْمَكْتُوبَةُ: «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ» (كورنثوس الأولى 15: 51 – 54).

إنَّ الخلود ليس فينا ولا بداخلنا. الخلود ممكن فقط مِن خلال الاتِّصال الحيّ بالله: "هذا المائت يلبس عدم موت". كما يعلن بولس قائلاً، "لا نرقد كلّنا". إنَّ أولئك الذين يبقون أحياء، ثابتين في المسيح، عند مجيئه الثاني لن يذوقوا الموت أبداً.

فَيَسْكُنُ الذِّئْبُ مَعَ الْخَرُوفِ، وَيَرْبُضُ النَّمِرُ مَعَ الْجَدْيِ، وَالْعِجْلُ وَالشِّبْلُ وَالْمُسَمَّنُ مَعًا، وَصَبِيٌّ صَغِيرٌ يَسُوقُهَا. وَالْبَقَرَةُ وَالدُّبَّةُ تَرْعَيَانِ. تَرْبُضُ أَوْلاَدُهُمَا مَعًا، وَالأَسَدُ كَالْبَقَرِ يَأْكُلُ تِبْنًا. وَيَلْعَبُ الرَّضِيعُ عَلَى سَرَبِ الصِّلِّ، وَيَمُدُّ الْفَطِيمُ يَدَهُ عَلَى جُحْرِ الأُفْعُوَانِ. لاَ يَسُوؤُونَ وَلاَ يُفْسِدُونَ فِي كُلِّ جَبَلِ قُدْسِي، لأَنَّ الأَرْضَ تَمْتَلِئُ مِنْ مَعْرِفَةِ الرَّبِّ كَمَا تُغَطِّي الْمِيَاهُ الْبَحْرَ (إشعياء 11: 6 – 9).

ستعود في الأرض الجديدة كلُّ خليقة الله إلى حالة الكمال الأصليَّة التي كانت عليها في جنَّة عدن. لن تفترس الحيوانات بعضها البعض مِن أجل البقاء، ولن تكون هناك مخلوقات تشكِّل تهديداً للبشريَّة. لن يكون هناك خوف ولا معاناة ولا موت.

وَسَيَمْسَحُ اللهُ كُلَّ دَمْعَةٍ مِنْ عُيُونِهِمْ، وَالْمَوْتُ لاَ يَكُونُ فِي مَا بَعْدُ، وَلاَ يَكُونُ حُزْنٌ وَلاَ صُرَاخٌ وَلاَ وَجَعٌ فِي مَا بَعْدُ، لأَنَّ الأُمُورَ الأُولَى قَدْ مَضَتْ.

(سِفر الرؤيا 21: 4).

19

خالقنا ورازقنا

فِي الْبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ
(سِفر التكوين 1: 1).

نجد هنا الأساس الذي بُنِي عليه العلم الحقيقي. إنَّ الله هو مَن خلق عالَمنا. والله هو مَن خلقنا. ونحن لم نوجد كنتيجة للصُّدَف. هناك هدف إلهي وراء وجودنا. ومع ذلك، فإنَّ عالَمنا اليوم مُشبَع بفلسفة تُعارِض تماماً هذه العبارة البسيطة الواضحة التي تفتتح كلمة الله. لقد حاول الإلحاد اختطاف العلوم بهدف التخلُّص مِن الله. وقد تمتَّعت هذه الفلسفة بنفوذ مؤثِّر على الدوائر العِلميَّة لأكثر مِن قرن.

ليس من ضمن نطاق هذا الكتاب الصغير الخوض في حجم الأدلَّة التي تدعم العلوم القائمة على عقيدة الخلق، حيث توجد العديد مِن الكتب الجيِّدة المتاحة التي تتناول هذا الموضوع. ومع ذلك، هناك معركة مستعرة اليوم حول وجود الله. هناك مؤلِّفون وخطباء بارزون ولهم أتباع كثيرون، وكأنَّهم مُرسَلون في مهمَّة التخلُّص مِن الله. ما الذي يدفع هذه الحركة؟ ولماذا يرفض الكثير مِن الناس الإيمان بالله؟

يستمرُّ العديد مِن الأمَناء في التمسُّك بنظرتهم غير المنسجمة إلى الله. لقد نشأ العديد مِن الناس وهم يسمعون عن محبَّة الله، وإذا بهم يكتشفون أنَّ صورة الإله المُحِبّ التي ارتسمت في أذهانهم قد تمَّ نفيها بشكل فعَّال مِن خلال صورة متباينة تصوِّره كإله يغضب بسهولة أو يشعر بالإساءة. أضف إلى ذلك الاعتقاد بأنَّ الله ينتقم مِن أعدائه مِن خلال الموت والدمار والعذاب الأبدي. مِن السهل أنْ نرى لماذا رفض الكثيرون الإيمان بالله جملة وتفصيلاً. ولكنَّ أولئك الذين يرفضون فكرة الإيمان بإله ـ عندما يكون كلُّ ما يعرفونه عنه هو هذه الصورة المُشوَّهة ـ قد لا يكونون في الحقيقة يرفضون الله على الإطلاق. إنَّ السؤال الثانوي حول وجود الله هو قائم فقط لأنَّ السؤال الأساسي حول صفات الله لم يتمَّ البتُّ فيه في عقول جميع الناس.

وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا (سِفر التكوين 1: 31).

تختتم هذه الآية رواية الخلق. إنَّ الله لم يكن ليرى كلَّ شيء على وجه الأرض على أنَّه "حسنٌ جدًّا" لو كان الموت قد أصاب أيَّاً مِن مخلوقاته قبل أنْ ينتهي مِن عمله في الخلق. بما أنَّ الله

ليس خالق المعاناة والموت، فإنَّ هذا يستبعد الرأي القائل بأنَّ البقاء للأصلح قبل سقوط البشريَّة حين دخل الموت والمعاناة عالَمنا للمرَّة الأولى.

إنَّ أسلوب (البقاء للأصلح) هو تكيُّف وحشي للعيش في عالَم دخل في حالة (النجاة أثناء الطوارئ) منذ دخول الخطيئة. ولكنْ، هناك أخبار سارَّة! إنَّ اغتراب الخليقة عن الخالق، وهو الاغتراب الذي حدث عند السقوط، سوف يُشفى في الأرض الجديدة. وسيكون قانون المحبَّة عندئذ هو نمط الحياة بدون أنْ تكون هناك منافسة أو خوف أو معاناة أو موت. وسيتحقَّق هدف الله الأصلي لأرضنا.

> لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، قُدْرَتَهُ السَّرْمَدِيَّةَ وَلاَهُوتَهُ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ (رومية 1: 20).

عندما تكون الفرصة قد أتيحت لنا لنقوم بدراسة العلوم، سنقدِّر الدقَّة الإعجازيَّة والتعقيد الذي نشاهده في الخليقة. إنَّ ختم الله قد طُبِع في كلِّ مكان. وعندما ننكر وجود الله، سيكون علينا أيضاً أنْ ننكر وجود المعجزات، لكنَّنا محاطون بالمعجزات: الأشجار الضخمة، الأزهار البرّيَّة الرقيقة، جوقة الطيور المغرّدة، شبكة العنكبوت، الكون الفسيح، ابتسامة الطفل عندما يميِّز وجه أمِّه، النَّفَس الذي تأخذه في هذه اللحظة بالذات. هذه جميعها معجزات مِن أعلى المستويات، ولا يمكن تفسيرها بشكل معقول على أنَّها أيُّ شيء آخر غير المعجزات. الحياة ككلّ هي معجزة. ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الله خلقنا وكلَّ شيء آخر له حياة. وليس مِن المعقول أنْ ننظر إلى العالَم العجيب مِن حولنا ونستنتج أنَّ الله لم يخلقه.

> لأَنَّهُ هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «خَالِقُ السَّمَاوَاتِ هُوَ اللهُ. مُصَوِّرُ الأَرْضِ وَصَانِعُهَا. هُوَ قَرَّرَهَا. لَمْ يَخْلُقْهَا بَاطِلاً. لِلسَّكَنِ صَوَّرَهَا. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ» (إشعياء 45: 18).

لقد خلق الله الأرض لتكون وطننا الأبديّ.

> فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ .هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ. كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ. وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا (يوحنَّا 1: 1 – 3، 14).

لقد صار خالقنا واحداً منَّا ليعلن ذاته لنا على نحو أكمل.

إِذَا أَرَى سَمَاوَاتِكَ عَمَلَ أَصَابِعِكَ، الْقَمَرَ وَالنُّجُومَ الَّتِي كَوَّنْتَهَا، فَمَنْ هُوَ الإِنْسَانُ حَتَّى تَذكُرَهُ؟ وَابْنُ آدَمَ حَتَّى تَفْتَقِدَهُ؟ وَتَنْقُصَهُ قَلِيلًا عَنِ الْمَلاَئِكَةِ، وَبِمَجْدٍ وَبَهَاءٍ تُكَلِّلُهُ. تُسَلِّطُهُ عَلَى أَعْمَالِ يَدَيْكَ. جَعَلْتَ كُلَّ شَيْءٍ تَحْتَ قَدَمَيْهِ (مزمور 8: 3 – 6).

إنَّ الأسرة البشريَّة قد وُضِعت "قليلاً عن الملائكة". ومع ذلك، فإنَّ أولئك الذين عاشوا على الأرض وتصالحوا مع الله سيكونون قد مرُّوا بخبرات وتجارب "تَشْتَهِي الْمَلاَئِكَةُ أَنْ تَطَّلِعَ عَلَيْهَا" (بطرس الأولى 1: 12). إنَّ معرفتهم بمحبَّة الله المُنكِرة للذات، والتي اكتسبوها بالتجربة، ستمنحهم مكانة خاصّة في الكون: "وَأَنَا يُوحَنَّا رَأَيْتُ الْمَدِينَةَ الْمُقَدَّسَةَ أُورُشَلِيمَ الْجَدِيدَةَ نَازِلَةً مِنَ السَّمَاءِ مِنْ عِنْدِ اللهِ مُهَيَّأَةً كَعَرُوسٍ مُزَيَّنَةٍ لِرَجُلِهَا. وَسَمِعْتُ صَوْتًا عَظِيمًا مِنَ السَّمَاءِ قَائِلًا: «هُوَذَا مَسْكَنُ اللهِ مَعَ النَّاسِ، وَهُوَ سَيَسْكُنُ مَعَهُمْ، وَهُمْ يَكُونُونَ لَهُ شَعْبًا، وَاللهُ نَفْسُهُ يَكُونُ مَعَهُمْ إِلهًا لَهُمْ»" (سِفر الرؤيا 21: 2 – 3).

صَانِعُ الأَرْضِ بِقُوَّتِهِ، مُؤَسِّسُ الْمَسْكُونَةِ بِحِكْمَتِهِ، وَبِفَهْمِهِ بَسَطَ السَّمَاوَاتِ (إرميا 10: 12)

لأَنَّنَا بِهِ نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ (أعمال الرسل 17: 28).

لا وجود الكون ولا للأرض ولا لأيَّ كائن حيّ عليها بمعزل عن الله. إنَّ خالقنا لم يؤسِّس عالمنا ويتركه ليسير مِن تلقاء نفسه دون أيَّ مُدخلات أخرى، بل إنَّه على الدوام يحمل كلَّ الأشياء بكلمة قدرته لأنَّ "فِيهِ يَقُومُ الْكُلُّ" (عبرانيّين 1: 3؛ كولوسي 1: 17).

إذا كنتَ تحمل كوب ماء بيدك اليمنى وقرَّرتَ أنْ توقعه أرضاً، فهل ستحتاج إلى أنْ تستخدم يدك اليسرى لتجبر يدك اليمنى على القيام بذلك؟ قال لنا الله: "وَيَدِي أَسَّسَتِ الأَرْضَ، وَيَمِينِي نَشَرَتِ السَّمَاوَاتِ. أَنَا أَدْعُو هُنَّ فَيَقِفْنَ مَعًا" (إشعياء 48: 13).

أنْ نتخيَّل أنَّ الله هو إله يأتي بالهلاك والخراب هو أمرٌ فيه تسخيف لمكانته بوصفه الرزَّاق الذي يصون الخليقة ويُعيلها. إنَّ الله لا يحتاج إلى أنْ يسبِّب الهلاك بشكل فعلي لكي يتمَّ الهلاك. على سبيل المثال، في حادثة خراب سدُوم وعمُّورة، ينظر التفسير الشائع إلى الله وقد صنع ناراً وكبريتاً لإهلاك ما كان يصونه بالدعم والتأييد. هذه الصورة عن الله بوصفه مصدراً للهلاك والخراب تضعه في صراع مع ذاته، تماماً كما لو أنَّكَ في صراع مع نفسك حين تستخدم يدك اليسرى لإجبار اليمنى على أنْ تُلقي بكأس الماء أرضاً.

لكي يأتي الله بالهلاك لا يحتاج إلَّا إلى أنْ يتخلَّى. ولكنْ، مِن الضروري أنْ نفهم أنَّه لا يقوم بذلك أبداً رغبةً في أنْ يُحدِث الهلاك أو الموت. إنَّ الله يتخلَّى فقط لأنَّه محبَّة، والمحبَّة تتطلَّب حرّيَّة حقيقية. هو يتخلَّى عن شخص أو أمَّة فقط بعدَ تردُّد وبأسى عميق: "كَيْفَ أَجْعَلُكَ يَا أَفْرَايِمُ، أُصَيِّرُكَ يَا إِسْرَائِيلُ؟! كَيْفَ أَجْعَلُكَ كَأَدَمَةَ، أَصْنَعُكَ كَصَبُويِيمَ؟! قَدِ انْقَلَبَ عَلَيَّ قَلْبِي. اضْطَرَمَتْ مَرَاحِمِي جَمِيعًا" (هوشع 11: 8).

تكلَّم يسوع بكلمات الرثاء هذه على أورشليم: "يَا أُورُشَلِيمُ، يَا أُورُشَلِيمُ! يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا، وَلَمْ تُرِيدُوا !هُوَذَا بَيْتُكُمْ يُتْرَكُ لَكُمْ خَرَابًا" (متَّى 23: 37 – 38).

لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ لِيُخَلِّصَ (لوقا 9: 56).

اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ، وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ .يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَمًا، وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْمًا. لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ (مزمور 19: 1 – 3).

إنَّ الله يتكلَّم إلى جميع الناس مِن خلال خليقته. والدعوة المقدَّمة للتعلُّم منه لا تستثني أحداً بسبب حواجز اللغة أو النقص في انتشار الكلمة المطبوعة.

ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ.

(إشعياء 40: 26).

20

كيف ننال الحياة الأبديَّة؟

في مكان سابق مِن هذا الكتاب قرأنا عن سقوط الجنس البشري كما هو مدوَّن في الإصحاح الثالث مِن سِفر التكوين. لقد قادت الحيَّة، أي المخادع المتخفِّي، آدم وحوَّاء إلى الاعتقاد بأنَّ الله يخدم ذاته ولا يمكن الوثوق فيه. عندما صدَّقا هذه الكذبة، طلبا أنْ يبتعدا عن واهِب الحياة، وبدأت بالنسبة لهما عمليَّة الموت.

ومنذُ ذلك اليوم، يحدث الموت كنتيجة لتصديق تلك الكذبة التي قيلت عن الله. لقد اغتربت البشريَّة عن الله في جنَّة عدن لأنَّ آدم وحواء غيَّرا رأيهما بشأن الله. وحيث وثقا فيه ذات مرَّة، لم يعودا يثقان فيه الآن. وهذه ما تزال مشكلتنا بالتحديد. ما نحتاج إليه هو تغيير أفكارنا تجاه الله. وعندما نقوم بذلك، ستحلُّ الثقة محلّ الشكِّ والظنِّ، وستحلُّ المحبَّة محلَّ الخوف. سوف نتصالح مع خالقنا، وستكون لنا حياة أبدية.

عندما صدَّق آدم وحوَّاء كذبة الحيَّة بخصوص الله وسعيا للاختباء منه، لم يُحدِث هذا تغييراً في الله، ولم تضعف محبَّته ـ على الإطلاق ـ لولدَيه اللذين صارا بعيدين الآن. إنَّ أيَّة خطَّة للخلاص تعتمد على جهودنا الرامية إلى تغيير فكر الله تجاهنا هي خطَّة تهدف إلى حلِّ مشكلة غير موجودة. إنَّ أفكار الله تجاهنا هي أفكار صالحة فعلاً، وهو لا يحتاج إلى أيِّ إقناع لكي تصير أفكاره جيِّدة تجاهنا. إنَّه بالفعل يحبُّ كلَّ واحد منَّا ويقدِّره بلا حدود.

عندما أخرج الله بني إسرائيل مِن مصر، وُجِّه إليهم تحذير مِن خطر عبادة الأصنام. كانت هذه الآلهة الكاذبة شائعة في أزمنة الكتاب المقدَّس، وكانت نتاج خيالات منحرفة. وغالباً ما يُنظر إليها على أنَّها غاضبة وبحاجة إلى مَن يهدئِّها ويسكِّنها. وكانت تُقدَّم القرابين والأضاحي لصرف غضبها. وحقَّاً قد نسأل قائلين: هل طريقتنا في الاتِّصال بالله تستعير أيَّ شيء مِن عبادة الأوثان القديمة؟

> وَهذِهِ هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ. أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ (يوحنَّا 17: 3 – 4).

إنَّ يسوع، مِن خلال صلاته التي رفعها إلى أبيه، يعرِّف بوضوح الحياة الأبديَّة. إنَّها خبرة نصل مِن خلالها إلى أنْ نتعرَّف بالله. هذه المعرفة التجريبيَّة تُصالحنا مع مُعطي الحياة. ونبدأ

برؤية الهدف الحقيقي لرسالة يسوع إلى عالَمنا، وهو أنْ يقدِّم إعلاناً دقيقاً عن الله بوصفه الغفور والرؤوف والشفوق والرحيم والمضحِّي بذاته. عندما استمع الناس إلى كلمات يسوع، كانوا في الحقيقة يسمعون كلمات الله. وعندما رأى الناسُ يسوعَ يشفي المرضى، ويُطعِم الجياع، ويحمل الأطفال الصغار في حضنه، ويقدِّم الرجاء والتشجيع للضعفاء، ويسمح لنفسه بأنْ يُساء فهمه ويُفترى عليه، كانوا حينئذ يرون الله في مجده.

مِن المُهِمّ ـ لكي نتجنَّب الالتباس ـ أنْ نفهم أنَّ هناك العديد مِن الطرق التي يزعم الناس أنَّها تؤدّي إلى الخلاص، ولكنَّها كلَّها تقدِّم صورة متضاربة عن الله. ستركِّز هذه الدراسة على إحدى طرق الخلاص البارزة التي تعرَّض لها كلُّ شخص تقريباً في المجتمع الغربي. وهي طريقة يلتزم بها العديد مِن الناس المُخلِصين. وهذه الطريقة هي وجهة النظر القائلة بأنَّ الخلاص مسألة شرائع وقوانين.

تتضمَّن بعض خصائص هذا الرأي ما يلي:

- التأكيد على سلطان الله بدلاً مِن هبة الحرِّيَّة التي يهبها الله لأولاده.
- التأكيد على قدرة الله على أنْ يخلِّصنا بدلاً مِن شوقه إلى أنْ يُرجعنا إليه فتِتمُّ المصالحة بيننا وبينه.
- الاعتقاد بأنَّ الله طاهر وقدُّوس بحيث أنَّ ذنوبنا تسيء إلى طهارته بدلاً مِن الإيمان بأنَّ الله يحبُّنا ويريد أنْ يقترب منَّا في الوضع الذي نكون عليه. إنَّ الله يحزن على خطايانا بسبب ما تفعله في مَن يحبَّ، أي فينا، وليس لأنَّها تسيء إليه شخصيَّاً.
- الاعتقاد بأنَّ الله يطلب سفك الدماء لكي يهدأ غضبه بدلاً مِن أنْ نفهم بأنَّ الله يريد أنْ يشفينا مِن خوفنا المَرَضيّ مِنه. يريدنا أنْ نفهم أنَّ الخطيئة مُميتة، وليس هو مِن يسبِّب الموت.
- الاعتقاد بأنَّ الله يحتفظ بسجلٍّ لخطايانا ليستخدمه ضدَّنا في الدينونة المُقبلة بدلاً مِن أنْ نفهم أنَّ أيَّ سجلٍّ يتمُّ الاحتفاظ به سوف يثبت أنَّ الله فعل كلَّ ما كان في وسعه لإنقاذ الجميع.
- الرأي القائل بأنَّ الله يفرض عقوبات على مَن يكسر شريعته بدلاً مِن أنْ نُدرك أنَّ أنانيَّتنا، التي تتعارض مع شريعة المحبَّة، هي التي تأتي بالعقوبة علينا. ومثلما لا يمكننا خرق قوانين الطبيعة والإفلات مِن العقاب في الوقت عينه، لا يمكننا انتهاك شريعة المحبَّة بدون عقوبة.
- تعريف الإنجيل على أنَّه الأخبار السَّارَّة التي أعدَّها الله كوسيلة تجنِّبنا أنْ نلقى العقوبة التي يفرضها على مَن يتعدَّى شريعته بدلاً مِن أنْ نعرف أنَّ الأخبار السَّارَّة

هي أخبار عن الله ذاته. لو كان الله مِن النوع الذي يفرض عقوبة الإعدام على مِن يخرق شريعته، لكان ذلك خبراً سيّئاً.

- أنْ تكون لدينا عقليَّة تؤمن بأنَّ الإنسان ينال الخلاص بدلاً مِن أنْ نرى الله على أنَّه جدير بالثقة بكلِّ تأكيد. في الحقيقة، كلَّما ركَّزنا أكثر على الحقّ المتعلِّق بإلهنا الرؤوف، قلَّ شعورنا بالقلق بشأن خلاصِنا وشعَرنا بالحبِّ والتقدير تجاه الآخرين. "فَإِنَّ مَنْ أَرَادَ أَنْ يُخَلِّصَ نَفْسَهُ يُهْلِكُهَا، وَمَنْ يُهْلِكُ نَفْسَهُ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ الإِنْجِيلِ فَهُوَ يُخَلِّصُهَا" (مرقس 8: 35).

إنَّ الإنجيل القائم على مراعاة الشرائع والقوانين يشجِّع دائماً على التركيز بشكل مُفرط على ضمان الخلاص. لم يضع الله على عاتقنا عبء الاحتياج إلى أنْ نتأكَّد مِن أوضاع كلّ شخص مِن جهة خلاصه ـ بما في ذلك أوضاعنا نحن. بدلاً مِن أنْ نركِّز على حالتنا الروحيَّة، نحتاج إلى أنْ نركِّز على ذلك الذي يرى على الدوام كلّاً منَّا ليس فقط بحسب ما نحن عليه الآن ولكن أيضاً بحسب ما يمكننا أنْ نكون عليه. إنَّ الله ينظر إلى كلٍّ منَّا بمحبَّة وتقدير لا حدود لهما وأكثر ممَّا يمكننا نحن أنْ نحبَّ أنفسنا ونقدِّرها. يريد الله بلا شكٍّ لكلٍّ منَّا أنْ يقضي معه الأبديَّة. ويريدنا أيضاً أنْ نفهم أنَّه جدير بالثقة كليَّاً وأنَّه أكثر مِن قادر على شفاء أذهاننا الخائفة: "لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ" (يوحنَّا الأولى 4: 18).

لقد قارنَّا بإيجاز بين إنجيلَين مختلفَين للغاية: الإنجيل القائم على القانون والشريعة، والإنجيل القائم على الشفاء. إنَّ إنجيل الشفاء متناغم تماماً مع تعاليم يسوع ومثاله، في حين أنَّ الإنجيل القانوني هو أكثر تشابهاً مع النظام القضائي الذي ابتكره البشر والذي تمَّ استخدامه لإدانة يسوع (وهو شافينا الرؤوف) بحكم الإعدام.

> لأَنِّي عَرَفْتُ الأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ، يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ سَلاَمٍ لاَ شَرّ (إرميا 29: 11).

إنَّ المقدار الهائل مِن الوقت والجهد والنفقات التي صُرفت في المساعي الدينيَّة، بهدف إقناع الله بأنْ تكون أفكاره تجاهنا أفكار صالحة، كلُّ ذلك كان مضيعة هائلة للوقت والموارد.

> اِطْرَحُوا عَنْكُمْ كُلَّ مَعَاصِيكُمُ الَّتِي عَصَيْتُمْ بِهَا، وَاعْمَلُوا لأَنْفُسِكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا وَرُوحًا جَدِيدَةً. فَلِمَاذَا تَمُوتُونَ يَا بَيْتَ إِسْرَائِيلَ؟ لأَنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ مَنْ يَمُوتُ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، فَارْجِعُوا وَاحْيَوْا (حزقيال 18: 31 – 32).

إنَّ الله يناشدنا جميعاً أنْ نتحوَّل مِن السلوك بالأنانيَّة إلى السلوك في طريق الحياة.

لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ (يوحنَّا 3: 16 – 17).

إنَّ الإيمان بيسوع يعني أنْ نصدِّق ما أعلنه عن ذاته (أنَّه ابن الله) وعن الله الآب.

أَيْ إِنَّ اللهَ كَانَ فِي الْمَسِيحِ مُصَالِحًا الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ، غَيْرَ حَاسِبٍ لَهُمْ خَطَايَاهُمْ، وَوَاضِعًا فِينَا كَلِمَةَ الْمُصَالَحَةِ (كورنثوس الثانية 5: 19).

إذا تمَّ تلخيص جميع الجهود التي بذلها الله ليخلِّصنا مِن الموت الأبديّ في كلمة واحدة، فإنَّ تلك الكلمة ستكون المصالحة.

وَأَنْتُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ قَبْلًا أَجْنَبِيِّينَ وَأَعْدَاءً فِي الْفِكْرِ، فِي الأَعْمَالِ الشِّرِّيرَةِ، قَدْ صَالَحَكُمُ الآنَ (كولوسي 1: 21).

منذ أنْ سقط الجنس البشري، كان الميل نحو الاغتراب عن الله جزءاً لا يتجزَّأ مِن أذهاننا نحن، وليس جزءاً مِن فكر الله.

لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ: «أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (كورنثوس الثانية 4: 6).

إنَّ الظلمة التي تشير إليها هذه الآية هي سوء فهمنا لله. إنَّ مجد الله يكمن في صفاته التي تُرى في وجه يسوع.

وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ (كورنثوس الثانية 3: 18).

إنَّنا بالنظر نتغيَّر. وهذا المبدأ يصحُّ في كلا الاتِّجاهين. إذا كنَّا نعتقد أنَّ الله لا يُعنى سوى بخدمة الذات، فهذا يعزِّز أنانيَّتنا. وإذا رأينا فيه الإيثار والتضحية، فهذا سيعمل على استئصال أنانيَّتنا المتأصِّلة. إنَّ التأمُّل في محبَّة الله ورحمته وغفرانه يسهِّل أنْ تظهر فينا تلك الصفات عينها.

أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ هكَذَا يَكُونُ فَرَحٌ فِي السَّمَاءِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَةٍ وَتِسْعِينَ بَارًّا لاَ يَحْتَاجُونَ إِلَى تَوْبَةٍ (لوقا 15: 7).

إنَّ التوبة لا تعني أنْ يقول أحدهم لله: "أنا آسف". التوبة تعني حدوث تحوُّل أو تغيير في الفكر. التوبة الحقيقية ــ في سياق ما علّمه يسوع ــ تعني تغيير الأفكار فيما يتعلّق بالله. عندئذ سنراه كما صوَّره يسوع بكلِّ دقَّة.

تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ. لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ (متَّى 11: 28 – 30).

إنَّنا لا نحتاج إلى أنْ نعمل جاهدين لنكون صالحين في محاولة يائسة لنتطوَّر روحيًّاً. وكلُّ ما نبذله مِن جهود للارتقاء يدفعنا إلى التركيز على ذواتنا، وستؤدّي إمَّا إلى الكبرياء أو الشعور بالإحباط. يسوع لديه الحلّ لمعضلتنا، وهو يقول ببساطة، "تَعلَّموا مِنِّي".

فَدُفِعَ إِلَيْهِ سِفْرُ إِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ. وَلَمَّا فَتَحَ السِّفْرَ وَجَدَ الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانَ مَكْتُوبًا فِيهِ: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ» (لوقا 4: 17 – 18).

إنَّنا جميعنا نحتاج إلى أنْ ننال مِن يسوع ما جاء ليحقِّقه لأجلنا، ولا يستثنى مِن ذلك أحد.

21

هل ينبغي أنْ نخاف مِن الدينونة؟

عندما ننظر في الدينونة، سيكون مِن المفيد أوَّلاً أنْ نحدِّد مَن يتمُّ الحكم عليه ومَن يقوم بالحكم. بالعودة إلى الحديث الذي دار بين حوَّاء والحيَّة في جنَّة عدن، تذكَّروا أنَّ الحيَّة زرعت في ذهن حوَّاء سؤالًا حول عدالة الله وصلاحه وصدقه. بمجرَّد النظر إلى الأمر ببعض مِن الصدق والأمانة، سيتَّضح أنَّ مَن كان يُحاكَم هنا لم تكن البشريَّة بل الله.

قد يكون مِن الصعب علينا أنْ نفهم فكرة أنَّ الله يسمح بأنْ يُحاكَم. ومع ذلك، فإنَّ هذا المنظور هو المنظور الوحيد الذي يمكن الوصول إليه بناءً على دراسة معمَّقة للكتاب المقدَّس. إنَّنا ندين الله بكلِّ جهل منذ ذلك الحوار الأوَّل مع الشيطان، فهل نال مِنَّا محاكمة عادلة؟

في الوقت الذي نضلُّ فيه بسبب ميلنا إلى أنْ نضع أنفسنا في مركز المحاكمة، فإنَّنا لسنا معفيِّين تماماً عندما يتعلَّق الأمر بأنْ نتعرَّض نحن للمحاكمة. إنَّ الله لم يحاكمنا؛ ومع ذلك، نحن بارعون بشكل مميَّز في الحكم على أنفسنا وإدانتها. قال يسوع أنَّ الكلمات التي تكلَّم بها هي الحياة. لدينا الخيار إمَّا بأنْ نقبل كلماته أو نرفضها. إذا كانت كلماته هي حياة بالفعل ونحن نرفضها، ألم نحكم بهذا على أنفسنا بعواقب وخيمة؟

إنَّ الله لا يُوجِّه الأحكام على طريقة محاكم القانون. عندما نكون مُصرّين على الاستمرار في طريق الموت وإدانة الذات، لن يفعل الله لنا أمراً آخر سوى المصادقة على قرارنا على مضض.

وللدينونة أيضاً جانب آخر يمكن النظر فيه. عندما ندين الآخرين، يرتدُّ هذا علينا بطريقة سلبيَّة. عندما ندين الآخرين، فإنَّنا في هذه العمليَّة لا ندين أحداً سوى أنفسنا. لكي نعرف مِمَّن ينبغي أنْ نخاف عند الحكم على الآخرين، كلُّ ما نحتاج إلى فعله هو أنْ ننظر في المرآة.

تُقدِّم لنا رواية الإنجيل عن المرأة التي أمسِكَت في الزنا توضيحاً للطريقة التي تتمُّ بها الدينونة:

أَمَّا يَسُوعُ فَمَضَى إِلَى جَبَلِ الزَّيْتُونِ. ثُمَّ حَضَرَ أَيْضًا إِلَى الْهَيْكَلِ فِي الصُّبْحِ، وَجَاءَ إِلَيْهِ جَمِيعُ الشَّعْبِ فَجَلَسَ يُعَلِّمُهُمْ. وَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ امْرَأَةً أُمْسِكَتْ فِي زِنًا. وَلَمَّا أَقَامُوهَا فِي الْوَسْطِ قَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ، هذِهِ الْمَرْأَةُ أُمْسِكَتْ وَهِيَ تَزْنِي فِي ذَاتِ الْفِعْلِ، وَمُوسَى فِي النَّامُوسِ أَوْصَانَا أَنَّ مِثْلَ هذِهِ تُرْجَمُ. فَمَاذَا تَقُولُ أَنْتَ؟» قَالُوا هذَا لِيُجَرِّبُوهُ، لِكَيْ يَكُونَ لَهُمْ مَا يَشْتَكُونَ بِهِ عَلَيْهِ. وَأَمَّا يَسُوعُ فَانْحَنَى إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ بِإِصْبِعِهِ عَلَى الأَرْضِ. وَلَمَّا اسْتَمَرُّوا يَسْأَلُونَهُ، انْتَصَبَ وَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ!» ثُمَّ انْحَنَى أَيْضًا إِلَى أَسْفَلُ وَكَانَ يَكْتُبُ عَلَى الأَرْضِ. وَأَمَّا هُمْ فَلَمَّا سَمِعُوا وَكَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ، خَرَجُوا وَاحِدًا فَوَاحِدًا، مُبْتَدِئِينَ مِنَ الشُّيُوخِ إِلَى الآخِرِينَ. وَبَقِيَ يَسُوعُ وَحْدَهُ وَالْمَرْأَةُ وَاقِفَةٌ فِي الْوَسْطِ. فَلَمَّا انْتَصَبَ يَسُوعُ وَلَمْ يَنْظُرْ أَحَدًا سِوَى الْمَرْأَةِ، قَالَ لَهَا: «يَا امْرَأَةُ، أَيْنَ هُمْ أُولئِكَ الْمُشْتَكُونَ عَلَيْكِ؟ أَمَا دَانَكِ أَحَدٌ؟» فَقَالَتْ: «لاَ أَحَدَ، يَا سَيِّدُ!». فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا» (يوحنَّا 8: 1 – 11).

إنَّ المرأة التي مَثُلت أمام يسوع وقُدِّمت على أنَّها منتهكة للشريعة كانت ضحيَّة استخدمها القادة الدينيُّون القساة في محاولتهم القضاء على يسوع الذين اعتبروه تهديداً لديانتهم. لجأ مُتَّهمو المرأة إلى شريعة موسى. في حوار آخر مع الفرّيسيين حول الطلاق، قال لهم يسوع أنَّ ناموس موسى نصَّ على تسهيلات أعطيت لصلابة قلوبهم: "فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُمْ: «مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ كَتَبَ [موسى] لَكُمْ هذِهِ الْوَصِيَّةَ»" (مرقس 10: 5).

إنَّ حجم ما حدث في مشهد المحاكمة هذا سوف يتَّضح إذ ندرك أنَّ يسوع كان إلهاً على الأرض وكانت له كلُّ امتيازات اللاهوت، بما في ذلك الحقُّ في تنفيذ الدينونة. لم يُصدِر يسوع حكماً على الفور في القضيَّة المعروضة عليه، بل انحنى وكتبَ بإصبعه على الأرض. عندما ضغطوا عليه للإجابة على سؤالهم، قال لهم: "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ". ثمَّ واصل الكتابة على الأرض.

لقد كان ليسوع هدف مِن كلِّ ما عمل وعلَّم به. عندما كتب بإصبعه على الأرض، لم يفعل ذلك ليتهرَّب مِن السؤال الذي طرحه الزعماء الدينيّون. كان يعرف الظروف التي جلبت المرأة أمامه. عرف يسوع أيضاً تاريخ كلِّ مَن كان يتَّهمها وقرأ أفكارهم ودوافعهم. كان بإمكانه أنْ يوبِّخ أولئك المنافقين بحضور الشهود. ولكنَّه، بدلاً مِن ذلك، جعل القادة الدينيّين يدركون بلطف خطاياهم مِن خلال أنْ كتبها في التراب، وسِجلُّ خطاياهم هذا سجلٌّ زائل على نحو منقطع النظير.

لقد أحبَّ يسوع كلَّ الناس في محيطه، وكان ينظر إليهم بعين التقدير والاحترام اللامتناهي، وذلك بغضّ النظر عن الظروف التي جمعته بهم. لقد كانت مهمَّته إنقاذ العالَم، وسعى إلى الإصلاح بين المرأة ومَن كانوا يتَّهمونها، ولم تكن رغبته في أنْ يزداد التباعد بينهم.

قال يسوع للقادة الدينيّين، "مَنْ كَانَ مِنْكُمْ بِلاَ خَطِيَّةٍ فَلْيَرْمِهَا أَوَّلًا بِحَجَرٍ". وهنا يُرجِع إليهم مسؤولية الحكم عليها. لم يأتِ يسوع إلى هذا العالَم ليحكم عليه أو يدينه، وما كان ليسمح أنْ يُدفَع به مِن قبل الآخرين ليؤدِّي دور القاضي والديَّان. هل أخذ الكتبة والفرّيسيُّون كلماته على أنَّها دعوة لرجم المرأة بالحجارة؟ على ما يبدو لا، وهذا ما نستنتجه مِن حقيقة أنَّهم خرجوا جمعيهم مِن ذلك المشهد "وَاحِدًا فَوَاحِدًا".

إنَّ يسوع، بوصفه الله، لم يُدِن المرأة، ولكنَّه مِن خلال كلماته "اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضًا"، فتح أمامها الباب على مصراعيه لتخطو في طريق الحياة. وهو بذلك لم يكن يطلب منها أنْ تتخلَّى عن الأفعال التي أوصلتها إلى محضره. كان يعرض عليها الحرّيَّة مِن الخطيئة المُميتة، وهي أنْ نظنَّ أنَّ الله لا يستحقُّ ثقتنا.

لقد عرضَ يسوع على هذه المرأة الطريق الذي سيقودها إلى تجنُّب الإدانة في المستقبل. وكشف لها عن محبَّة الله لشخصها. كانت هذه المرأة في حضور مُعطي الحياة، وعرفَت أنَّه كان بإمكانها أنْ تحبَّه وتثق به. إنَّ نظرتها إلى الله وعلاقتها به تغيَّرتا بشكلٍ جذريّ نحو الأفضل بعد هذا اللقاء. وبالنسبة لها، كانت الإدانة التي وقعت عليها سبباً في تغيير حياتها، بل أعطتها حياة جديدة.

إنَّ يسوع لم يُدِن الكتبة والفرّيسيّين القساة القلوب الذين سارعوا لإدانة المرأة والحكم عليها، لكنَّه وضع أمامهم مرآة روحيَّة تعكس صفاتهم المظلمة. ونتيجة لذلك "كَانَتْ ضَمَائِرُهُمْ تُبَكِّتُهُمْ"، وشعروا بأنَّهم كانوا مضطرّين لترك محضر المحبَّة المضحّية النقيَّة التي كانت تصدر عن واهب الحياة. لقد جاؤوا إليه لإدانة شخص آخر، لكن انتهى بهم الأمر إلى إدانة أنفسهم في أثناء ذلك كلِّه.

> لِذلِكَ أَنْتَ بِلاَ عُذْرٍ أَيُّهَا الإِنْسَانُ، كُلُّ مَنْ يَدِينُ. لأَنَّكَ فِي مَا تَدِينُ غَيْرَكَ تَحْكُمُ عَلَى نَفْسِكَ. لأَنَّكَ أَنْتَ الَّذِي تَدِينُ تَفْعَلُ تِلْكَ الأُمُورَ بِعَيْنِهَا! وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ دَيْنُونَةَ اللهِ هِيَ حَسَبُ الْحَقِّ عَلَى الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ. أَفَتَظُنُّ هذَا أَيُّهَا الإِنْسَانُ الَّذِي تَدِينُ الَّذِينَ يَفْعَلُونَ مِثْلَ هذِهِ، وَأَنْتَ تَفْعَلُهَا، أَنَّكَ تَنْجُو مِنْ دَيْنُونَةِ اللهِ؟ (رومية 2: 1 – 3).

يهبُ الله لكلٍّ منَّا حرّيَّة حقيقيَّة. وهو لن يلغي حرّيَّتنا في أنْ نختار إدانة أنفسنا. وهنا تكون دينونة الله هي إقراره المتردِّد بهذه الإدانة الذاتية التي تحدث عندما نختار البقاء خارج دائرة الحياة والمحبَّة المتبادلتين. لا مفرَّ مِن هذه الدينونة، وذلك لأنَّ الله لا يمكنه أنْ يجبرنا على أنْ نسير ــ ضدَّ إرادتنا ــ في الطريق المؤدِّي إلى الحياة.

"لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ" (يوحنَّا 5: 22).

إنَّ الله، الآب، لا يديننا.

"اَلرُّوحُ هُوَ الَّذِي يُحْيِي. أَمَّا الْجَسَدُ فَلاَ يُفِيدُ شَيْئًا. اَلْكَلاَمُ الَّذِي أُكَلِّمُكُمْ بِهِ هُوَ رُوحٌ وَحَيَاةٌ" (يوحنَّا 6: 63).

إنَّ كلمات يسوع هي الحياة. مِن خلال كلِّ كلمة تكلَّم بها يسوع كشف عن محبَّة الله التي تأتي بالمصالحة.

"فَنَادَى يَسُوعُ وَقَالَ: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِي، لَيْسَ يُؤْمِنُ بِي بَلْ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي. وَالَّذِي يَرَانِي يَرَى الَّذِي أَرْسَلَنِي .أَنَا قَدْ جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُثُ فِي الظُّلْمَةِ. وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. اَلْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ»" (يوحنَّا 12: 44 – 48).

إنَّ يسوع لا يديننا ولا يحكم علينا. والله يعرض علينا أنْ نقبل كلمة الحياة، لكنَّه لن يجبرنا على قبولها.

"لاَ تَدِينُوا لِكَيْ لاَ تُدَانُوا، لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وَبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ. وَلِمَاذَا تَنْظُرُ الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ، وَأَمَّا الْخَشَبَةُ الَّتِي فِي عَيْنِكَ فَلاَ تَفْطَنُ لَهَا؟ أَمْ كَيْفَ تَقُولُ لأَخِيكَ: دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى مِنْ عَيْنِكَ، وَهَا الْخَشَبَةُ فِي عَيْنِكَ؟ يَا مُرَائِي، أَخْرِجْ أَوَّلًا الْخَشَبَةَ مِنْ عَيْنِكَ، وَحِينَئِذٍ تُبْصِرُ جَيِّدًا أَنْ تُخْرِجَ الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ!" (متَّى 7: 1 – 5).

إذا كان الله الآب لا يديننا وإذا كان يسوع لا يحكم علينا، فما الذي يجعلنا نظنُّ بأنَّنا مؤهَّلون للحكم على الآخرين عندما نتصرَّف بدافع أرواحنا الانتقاديَّة (الخشبة في أعيننا)؟

"اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَنْ يَسْمَعُ كَلاَمِي وَيُؤْمِنُ بِالَّذِي أَرْسَلَنِي فَلَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَلاَ يَأْتِي إِلَى دَيْنُونَةٍ، بَلْ قَدِ انْتَقَلَ مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ" (يوحنَّا 5: 24).

إنَّ الطريق الذي يقود إلى الحياة يمرُّ مِن خلال فهم الحقِّ الخاصّ بالله وتعلُّم الثقة به. قال يسوع، "اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ" (يوحنَّا 3: 18).

"فَجَاهَرَ بُولُسُ وَبَرْنَابَا وَقَالاَ: «كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ أَوَّلًا بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ دَفَعْتُمُوهَا عَنْكُمْ، وَحَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ، هُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ»" (أعمال الرسل 13: 46).

إليكم مثالاً ساطعاً حول إدانة الذات.

"وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا. لاَ تَقْضُوا عَلَى أَحَدٍ فَلاَ يُقْضَى عَلَيْكُمْ. اِغْفِرُوا يُغْفَرْ لَكُمْ" (لوقا 6: 37).

يعلِّمنا مثل الابن الضالّ، في إنجيل لوقا، أنَّ الله قد سامحنا بالفعل قبل أنْ نطلب منه ذلك. إذا حُكِم علينا أو وقعت علينا الدينونة أو لم ننل الغفران، فلا يمكننا أنْ نلوم أحداً غير أنفسنا. "فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا" (غلاطية 6: 7).

"فَقَالَ يَسُوعُ: «لِدَيْنُونَةٍ أَتَيْتُ أَنَا إِلَى هذَا الْعَالَمِ، حَتَّى يُبْصِرَ الَّذِينَ لاَ يُبْصِرُونَ وَيَعْمَى الَّذِينَ يُبْصِرُونَ». فَسَمِعَ هذَا الَّذِينَ كَانُوا مَعَهُ مِنَ الْفَرِّيسِيِّينَ، وَقَالُوا لَهُ: «أَلَعَلَّنَا نَحْنُ أَيْضًا عُمْيَانٌ؟» قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «لَوْ كُنْتُمْ عُمْيَانًا لَمَا كَانَتْ لَكُمْ خَطِيَّةٌ. وَلكِنِ الآنَ تَقُولُونَ إِنَّنَا نُبْصِرُ، فَخَطِيَّتُكُمْ بَاقِيَةٌ»" (يوحنَّا 9: 39 – 41).

ما هي "الدينونة" التي لأجلها أتى يسوع إلى العالَم ؟ لقد جاء إلى هذا العالَم ليعلن محبَّة الله للبشريَّة والقيمة اللامتناهية التي يراها في كلِّ واحدٍ مِنَّا. إنَّه يريدنا أنْ نرى بعضنا البعض كما يرانا هو، وأنْ يقدِّر بعضنا البعض كما يقدِّرنا هو. يعلِّمنا يسوع أنْ نتعامى عن خطايا الآخرين وكذلك عن الاختلافات المصطنعة التي تفرِّق بيننا: الطائفيَّة والقوميَّة والقبليَّة والتحزُّب السياسي، أو أيَّة أداة أخرى تشجِّعنا على العقليَّة التي تضعنا نحن في مقابل الآخرين وفي تعارض معهم.

لم يفهم الفرّيسيُّون هذا الدرس الذي علّمه يسوع. كانوا متمسّكين بشراسة بروحهم الطائفيَّة وينظرون إلى الأمم، الذين لم يكونوا مِن أصل يهودي، على أنَّهم كلاب. كما نصَّبوا أنفسهم ليكونوا خبراء في تصيُّد خطايا الآخرين وإطلاق الأحكام عليهم بناءً على ذلك.

"لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ. لأَنَّهُ لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ. وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً" (يوحنَّا 3: 16 – 19).

يشير الاسم في هذا النصّ إلى الشخص. أنْ نرفض الإعلان عن صفات الله، وهو الإعلان الذي جاء يسوع ليسلِّط الضوء عليه، معناه في واقع الأمر أنْ نرفض الله. إنَّ الله، مِن خلال يسوع، يقول التالي: هذا هو أنا في الحقيقة.

"وَلَمَّا كَانَ الصَّبَاحُ تَشَاوَرَ جَمِيعُ رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَشُيُوخُ الشَّعْبِ عَلَى يَسُوعَ حَتَّى يَقْتُلُوهُ، فَأَوْثَقُوهُ وَمَضَوْا بِهِ وَدَفَعُوهُ إِلَى بِيلاَطُسَ الْبُنْطِيِّ الْوَالِي" (متَّى 27: 1 – 2).

يا لها مِن صورة! فها هم المتديّنون المشبَّعون بالخطيئة يسعون جاهدين لقتل مَن وهبهم الحياة، وهو لا يبدي أيَّة مقاومة، بل حتَّى أنَّه لا يدينهم! مَن أو ما الذي يأتي بالهلاك ــ الله أم الخطيئة؟

نقرأ ونسمع عن ساعات المسيح الأخيرة قبل موته دون أنْ نتبيَّن المعنى الأعمق وراء محاكمته وصلبه. يسوع هو الله الكامل في لاهوته، وهو أيضاً الإنسان الكامل في ناسوته. وعندما جيء بيسوع ليُحاكَم أمام بيلاطس البنطي، كان هو الله الكامل. وعندما حُكم عليه وأدين، كان هو الله الكامل. وبينما كان يُجلد ويُسخَر منه ويُسمَّر على الصليب ليموت، كان هو الله الكامل طيلة ذلك كلِّه.

لقد سمح الله أنْ يُحاكم ويدان مِن قِبل أولئك الذين أحبَّهم واشتاق إلى أنْ يتصالحوا معه. لماذا؟ لأنَّنا نواجه صعوبة بالغة في رؤية ما فعلته به خطايانا.

لقد لاقى يسوع، ابن الله، أشدَّ ضروب الألم والمعاناة خلال ساعات حياته الأخيرة على الأرض ــ أكثر بكثير ممَّا نتخيَّل. لكنَّ معاناة يسوع لم تبدأ في بستان جثسيماني، وهي لم تنتهِ بكلمات الموت التي نطقها بينما كان معلَّقاً على الصليب. لقد عانى الله معنا ومِن أجلنا منذ أنْ دخلت الخطيئة عالمنا للمرَّة الأولى، وسوف يستمرُّ في المعاناة معنا ولأجلنا إلى أنْ يأتي ذلك

اليوم حين تكون الخطيئة قد أخذت مجراها المدمِّر ويكون قد انتهى إلى الأبد كلُّ الموت والمعاناة.

إنَّ محاكمة يسوع وما لاقاه مِن عذاب على أيدي أولئك الذين خلقهم لكي يشاركهم محبّته اللامتناهية، ينبغي أنْ يقدِّما لنا صورة للمعاناة التي تسبَّبنا بها لله طيلة آلاف السنين. إنَّنا ما نزال نستدعي الله أمام محكمتنا البشريَّة ليردَّ على اتِّهاماتنا له باللامبالاة والتقاعس والابتعاد عنَّا، بل وحتَّى تسبُّبه بالدمار والهلاك الانتقامي على نحو فعَّال. ونحن نحكم عليه مرَّات عديدة بأنَّه مذنب في التُّهم الموجَّهة إليه! ما الذي يمكن أنْ يفعله الله أكثر لتتمَّ المصالحة بينه وبين أولاده البعيدين عنه؟ إنَّ الصليب هو رائعة مِن روائع المصالحة الإلهيَّة. وهو يمحو ادِّعاء الشيطان بأنَّ الله أناني لا يهتم إلَّا بنفسه، ولا يبالي، وغير جدير بالثقة.

على الرغم مِن أنَّنا شوَّهنا صفات الله، هناك أخبار سارَّة: الله يعلم لماذا أسأنا فهمه، وهو لا يدينا على ذلك. إنَّه يستمرُّ في حبِّه لنا على الرغم مِن عدم امتنانا لِما يقوم به وما يزال يقوم به مِن أجلنا كلَّ يوم. لكنْ، ألن يكون الأمر رائعاً بالنسبة إلى الله إذا أدركنا أنَّ الأمر لا يتعلَّق بنا بالكامل؛ إنَّ خالقنا معنيٌّ بشكل وثيق بالورطة التي وقعنا فيها. هل يمكننا أنْ نفكِّر فيه؟ هل يمكن أنْ نسمح لأنفسنا بأنْ تراه كما هو بالفعل ــ محبَّة متمركزة في الآخر لا هوادة فيها ولا مساومة؟ هل يمكن أنْ نردَّ إليه المحبَّة التي يستحقُّها؟ هل هذا طلب مُبالَغ فيه؟ "نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً" (يوحنا الأولى 4: 19).

فِي كُلِّ ضِيقِهِمْ تَضَايَقَ، وَمَلاَكُ حَضْرَتِهِ خَلَّصَهُمْ. بِمَحَبَّتِهِ وَرَأْفَتِهِ هُوَ فَكَّهُمْ وَرَفَعَهُمْ وَحَمَلَهُمْ كُلَّ الأَيَّامِ الْقَدِيمَةِ.

(إشعياء 63: 9).

22

كيف تبدو دينونة الله؟

تَعَلَّمُوا فَعْلَ الْخَيْرِ. اطْلُبُوا الْحَقَّ. انْصِفُوا الْمَظْلُومَ. اقْضُوا لِلْيَتِيمِ. حَامُوا عَنِ الأَرْمَلَةِ (إشعياء 1: 17).

إنَّ دينونة الله لا تُصدِر أبداً حكماً قضائيّاً ضدَّنا. وهي تُعرَّف هنا على أنَّها التخفيف مِن المعاناة وتعزيز العدالة في عالَم غير عادل.

«هُوَذَا فَتَايَ الَّذِي اخْتَرْتُهُ، حَبِيبِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. أَضَعُ رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْبِرُ الأُمَمَ بِالْحَقِّ. لاَ يُخَاصِمُ وَلاَ يَصِيحُ، وَلاَ يَسْمَعُ أَحَدٌ فِي الشَّوَارِعِ صَوْتَهُ. قَصَبَةً مَرْضُوضَةً لاَ يَقْصِفُ، وَفَتِيلَةً مُدَخِّنَةً لاَ يُطْفِئُ، حَتَّى يُخْرِجَ الْحَقَّ إِلَى النُّصْرَةِ. وَعَلَى اسْمِهِ يَكُونُ رَجَاءُ الأُمَمِ» (متَّى 12: 18 – 21).

إنَّ دينونة الله العادلة والمتمهِّلة تولِّد الثقة.

وَعِنْدَمَا تَحْصُدُونَ حَصِيدَ أَرْضِكُمْ لاَ تُكَمِّلْ زَوَايَا حَقْلِكَ فِي الْحَصَادِ. وَلُقَاطَ حَصِيدِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. وَكَرْمَكَ لاَ تُعَلِّلْهُ، وَنِثَارَ كَرْمِكَ لاَ تَلْتَقِطْ. لِلْمِسْكِينِ وَالْغَرِيبِ تَتْرُكُهُ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ (سِفر اللاويين 19: 9 – 10).

لقد سعى الله لاتِّخاذ ترتيبات ترعى شؤون المحرومين في المجتمعات القديمة.

وَإِذَا نَزَلَ عِنْدَكَ غَرِيبٌ فِي أَرْضِكُمْ فَلاَ تَظْلِمُوهُ. كَالْوَطَنِيِّ مِنْكُمْ يَكُونُ لَكُمُ الْغَرِيبُ النَّازِلُ عِنْدَكُمْ، وَتُحِبُّهُ كَنَفْسِكَ، لأَنَّكُمْ كُنْتُمْ غُرَبَاءَ فِي أَرْضِ مِصْرَ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمْ. لاَ تَرْتَكِبُوا جَوْرًا فِي الْقَضَاءِ، لاَ فِي الْقِيَاسِ، وَلاَ فِي الْوَزْنِ، وَلاَ فِي الْكَيْلِ. مِيزَانُ حَقّ، وَوَزْنَاتُ حَقّ، وَإِيفَةُ حَقّ، وَهِينُ حَقّ تَكُونُ لَكُمْ. أَنَا الرَّبُّ إِلهُكُمُ الَّذِي أَخْرَجَكُمْ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ (سِفر اللاويين 19: 33 – 36).

وَيْلٌ لِلَّذِينَ يَقْضُونَ أَقْضِيَةَ الْبُطْلِ، وَلِلْكَتَبَةِ الَّذِينَ يُسَجِّلُونَ جَوْرًا لِيَصُدُّوا الضُّعَفَاءَ عَنِ الْحُكْمِ، وَيَسْلُبُوا حَقَّ بَائِسِي شَعْبِي، لِتَكُونَ الأَرَامِلُ غَنِيمَتَهُمْ وَيَنْهَبُوا الأَيْتَامَ (إشعياء 10: 1 – 2).

إنَّ الله يقبل الجميع ولا يُقصي أحداً – ولا أغراب عنده. إنَّ الله عليمٌ بالقوانين البشرية والممارسات التجارية والمؤسسات التي تنفع الأغنياء على حساب الفقراء. وهو يُطلِق على هذا اسم "سرقة". وكلُّ شكل مِن أشكال التحريف في المعاملات التجاريَّة يقع تحت تعريف الكتاب المقدَّس للسرقة.

يَقُولُونَ: لِمَاذَا صُمْنَا وَلَمْ تَنْظُرْ، ذَلَّلْنَا أَنْفُسَنَا وَلَمْ تُلاَحِظْ؟ هَا إِنَّكُمْ فِي يَوْمِ صَوْمِكُمْ تُوجِدُونَ مَسَرَّةً، وَبِكُلِّ أَشْغَالِكُمْ تُسَخِّرُونَ. هَا إِنَّكُمْ لِلْخُصُومَةِ وَالنِّزَاعِ تَصُومُونَ، وَلِتَضْرِبُوا بِلَكْمَةِ الشَّرِّ. لَسْتُمْ تَصُومُونَ كَمَا الْيَوْمَ لِتَسْمِيعِ صَوْتِكُمْ فِي الْعَلاَءِ. أَمِثْلُ هذَا يَكُونُ صَوْمٌ أَخْتَارُهُ؟ يَوْمًا يُذَلِّلُ الإِنْسَانُ فِيهِ نَفْسَهُ، يُحْنِي كَالأَسَلَةِ رَأْسَهُ، وَيَفْرُشُ تَحْتَهُ مِسْحًا وَرَمَادًا. هَلْ تُسَمِّي هذَا صَوْمًا وَيَوْمًا مَقْبُولاً لِلرَّبِّ؟ أَلَيْسَ هذَا صَوْمًا أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ. فَكَّ عُقَدِ النِّيرِ، وَإِطْلاَقَ الْمَسْحُوقِينَ أَحْرَارًا، وَقَطْعَ كُلِّ نِيرٍ. أَلَيْسَ أَنْ تَكْسِرَ لِلْجَائِعِ خُبْزَكَ، وَأَنْ تُدْخِلَ الْمَسَاكِينَ التَّائِهِينَ إِلَى بَيْتِكَ؟ إِذَا رَأَيْتَ عُرْيَانًا أَنْ تَكْسُوَهُ، وَأَنْ لاَ تَتَغَاضَى عَنْ لَحْمِكَ (إشعياء 58: 3 – 7).

إنَّ مجرَّد الاكتفاء بالممارسات الدينيَّة لا قيمة له إذا أهملنا مساعدة المحتاجين. قال يسوع: "وَلكِنْ وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْفَرِّيسِيُّونَ! لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالسَّذَابَ وَكُلَّ بَقْل، وَتَتَجَاوَزُونَ عَنِ الْحَقِّ وَمَحَبَّةِ اللهِ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ" (لوقا 11: 42).

هكَذَا قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ قَائِلًا: اقْضُوا قَضَاءَ الْحَقِّ، وَاعْمَلُوا إِحْسَانًا وَرَحْمَةً، كُلُّ إِنْسَانٍ مَعَ أَخِيهِ. وَلاَ تَظْلِمُوا الأَرْمَلَةَ وَلاَ الْيَتِيمَ وَلاَ الْغَرِيبَ وَلاَ الْفَقِيرَ، وَلاَ يُفَكِّرْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَرًّا عَلَى أَخِيهِ فِي قَلْبِكُمْ (زكريَّا 7: 9 – 10).

لا يوافق الله على الظلم بأيِّ شكل مِن الأشكال، ولا على أي مخطَّطات تُحاك لصالح المرء على حساب الآخر.

يَا إِخْوَتِي، لاَ يَكُنْ لَكُمْ إِيمَانُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، رَبِّ الْمَجْدِ، فِي الْمُحَابَاةِ. فَإِنَّهُ إِنْ دَخَلَ إِلَى مَجْمَعِكُمْ رَجُلٌ بِخَوَاتِمِ ذَهَبٍ فِي لِبَاسٍ بَهِيٍّ، وَدَخَلَ أَيْضًا فَقِيرٌ بِلِبَاسٍ وَسِخٍ، فَنَظَرْتُمْ إِلَى اللاَّبِسِ اللِّبَاسَ الْبَهِيَّ وَقُلْتُمْ لَهُ: «اجْلِسْ أَنْتَ هُنَا حَسَنًا». وَقُلْتُمْ لِلْفَقِيرِ: «قِفْ أَنْتَ هُنَاكَ» أَوِ: «اجْلِسْ هُنَا تَحْتَ مَوْطِئِ قَدَمَيَّ» فَهَلْ لاَ تَرْتَابُونَ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَتَصِيرُونَ قُضَاةَ أَفْكَارٍ شِرِّيرَةٍ؟ اسْمَعُوا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ: أَمَا اخْتَارَ اللهُ فُقَرَاءَ هذَا الْعَالَمِ أَغْنِيَاءَ فِي الإِيمَانِ، وَوَرَثَةَ الْمَلَكُوتِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ الَّذِينَ يُحِبُّونَهُ؟ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَأَهَنْتُمُ الْفَقِيرَ. أَلَيْسَ الأَغْنِيَاءُ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْكُمْ وَهُمْ يَجُرُّونَكُمْ إِلَى الْمَحَاكِمِ؟ أَمَا هُمْ يُجَدِّفُونَ عَلَى الاسْمِ الْحَسَنِ الَّذِي دُعِيَ بِهِ عَلَيْكُمْ؟ فَإِنْ كُنْتُمْ تُكَمِّلُونَ

النَّامُوسَ الْمُلُوكِيَّ حَسَبَ الْكِتَابِ: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ». فَحَسَنًا تَفْعَلُونَ (رسالة يعقوب 2: 1 – 8).

لا تحيُّز أو محاباة مع الله. نحن جميعنا متساوون أمامه: "بِالْحَقِّ أَنَا أَجِدُ أَنَّ اللهَ لاَ يَقْبَلُ الْوُجُوهَ" (أعمال الرسل 10: 34).

اَلدِّيَانَةُ الطَّاهِرَةُ النَّقِيَّةُ عِنْدَ اللهِ الآبِ هِيَ هذِهِ: افْتِقَادُ الْيَتَامَى وَالأَرَامِلِ فِي ضِيقَتِهِمْ، وَحِفْظُ الإِنْسَانِ نَفْسَهُ بِلاَ دَنَسٍ مِنَ الْعَالَمِ (رسالة يعقوب 1: 27).

الديانة الطاهرة ليست هي الطائفيَّة، ولا التمسُّك بالطقوس الدينيَّة، ولا التمسُّك الأعمى بإيديولوجيَّة معيَّنة، ولا الديانة القائمة على دغدغة الانفعالات، ولا هي الديانة المتوافقة مع القوانين الكنسيَّة.

ثُمَّ يَقُولُ الْمَلِكُ لِلَّذِينَ عَنْ يَمِينِهِ: تَعَالَوْا يَا مُبَارَكِي أَبِي، رِثُوا الْمَلَكُوتَ الْمُعَدَّ لَكُمْ مُنْذُ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ . لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ. فَيُجِيبُهُ الأَبْرَارُ حِينَئِذٍ قَائِلِينَ: يَا رَبُّ، مَتَى رَأَيْنَاكَ جَائِعًا فَأَطْعَمْنَاكَ، أَوْ عَطْشَانًا فَسَقَيْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ غَرِيبًا فَآوَيْنَاكَ، أَوْ عُرْيَانًا فَكَسَوْنَاكَ؟ وَمَتَى رَأَيْنَاكَ مَرِيضًا أَوْ مَحْبُوسًا فَأَتَيْنَا إِلَيْكَ؟ فَيُجِيبُ الْمَلِكُ وَيَقُولُ لَهُمْ: الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ (متَّى 25: 34 – 40).

ما هي المؤهِّلات التي ينبغي أنْ تتواجد في الشخص ليكون أخاً أو لتكون أختاً ليسوع؟ هناك مطلب واحد فقط: أنْ يكون فرداً مِن أفراد الجنس البشري. نحن جميعنا أفراد في عائلة يسوع.

وَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كَثِيرِينَ سَيَأْتُونَ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ وَيَتَّكِئُونَ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ.

مِن أقوال يسوع (متَّى 8: 11).

23

تواضُع الله

في حين أنَّ الله هو الأقوى في الكون؛ لكنَّه في الوقت نفسه الأكثر تواضعاً.

فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ: «لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ» (لوقا 2: 10 – 12).

لقد اختار الله أضعف وسيلة ممكنة ليدخل مِن خلالها إلى عالَمنا: وهي أنْ يدخل كطفل رضيع مُسالم في مِزود للأعلاف.

«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ، وَأَنَا أُرِيحُكُمْ. اِحْمِلُوا نِيرِي عَلَيْكُمْ وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ، فَتَجِدُوا رَاحَةً لِنُفُوسِكُمْ . لأَنَّ نِيرِي هَيِّنٌ وَحِمْلِي خَفِيفٌ» (متَّى 11: 28 – 30).

كيف كان مِن الممكن أنْ يكون يسوع، ابن الله، أكثر وضوحاً؟ فهو يقول: "لأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ".

فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «لِلثَّعَالِبِ أَوْجِرَةٌ وَلِطُيُورِ السَّمَاءِ أَوْكَارٌ، وَأَمَّا ابْنُ الإِنْسَانِ فَلَيْسَ لَهُ أَيْنَ يُسْنِدُ رَأْسَهُ» (متَّى 8: 20).

هنا يتماهى يسوع ويتوحَّد مع أفقر أفراد المجتمع: المشرَّدين.

وَأَلْبَسُوهُ أُرْجُوَانًا، وَضَفَرُوا إِكْلِيلًا مِنْ شَوْكٍ وَوَضَعُوهُ عَلَيْهِ، وَابْتَدَأُوا يُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ قَائِلِينَ: «السَّلاَمُ يَا مَلِكَ الْيَهُودِ!» وَكَانُوا يَضْرِبُونَهُ عَلَى رَأْسِهِ بِقَصَبَةٍ، وَيَبْصُقُونَ عَلَيْهِ، ثُمَّ يَسْجُدُونَ لَهُ جَاثِينَ عَلَى رُكَبِهِمْ. وَبَعْدَمَا اسْتَهْزَأُوا بِهِ، نَزَعُوا عَنْهُ الأُرْجُوانَ وَأَلْبَسُوهُ ثِيَابَهُ، ثُمَّ خَرَجُوا بِهِ لِيَصْلِبُوهُ. وَلَمَّا صَلَبُوهُ اقْتَسَمُوا ثِيَابَهُ مُقْتَرِعِينَ عَلَيْهَا: مَاذَا يَأْخُذُ كُلُّ وَاحِدٍ؟ وَصَلَبُوا مَعَهُ لِصَّيْنِ، وَاحِدًا عَنْ يَمِينِهِ وَآخَرَ عَنْ يَسَارِهِ. فَتَمَّ الْكِتَابُ الْقَائِلُ: «وَأُحْصِيَ مَعَ أَثَمَةٍ» (مرقس 15: 17 – 20، 24 – 27، 28).

إنَّ يسوع، ابن الله، أظهر ــ منذ ولادته المتواضعة إلى صلبه بين اللصَّيْن ــ الوداعة والتواضع باستمرار.

قَدْ أَخْبَرَكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ مَا هُوَ صَالِحٌ، وَمَاذَا يَطْلُبُهُ مِنْكَ الرَّبُّ، إِلاَّ أَنْ تَصْنَعَ الْحَقَّ وَتُحِبَّ الرَّحْمَةَ، وَتَسْلُكَ مُتَوَاضِعًا مَعَ إِلهِكَ؟ (ميخا 6: 8).

هَلْ يَسِيرُ اثْنَانِ مَعًا إِنْ لَمْ يَتَوَاعَدَا؟ (عاموس 3: 3).

إنَّنا سنسير في انسجام مع الله عندما نتحلَّى بالتواضع كما هو أيضاً متواضع.

عندما نفهم التواضع الذي أظهره إلهنا الرؤوف، كيف ستساورنا ذرَّة شكّ واحدة في مصداقيَّته؟

كُلُّنَا كَغَنَمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ وَاحِدٍ إِلَى طَرِيقِهِ، وَالرَّبُّ وَضَعَ عَلَيْهِ إِثْمَ جَمِيعِنَا. ظُلِمَ أَمَّا هُوَ فَتَذَلَّلَ وَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. كَشَاةٍ تُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، وَكَنَعْجَةٍ صَامِتَةٍ أَمَامَ جَازِّيهَا فَلَمْ يَفْتَحْ فَاهُ. مِنَ الضُّغْطَةِ وَمِنَ الدَّيْنُونَةِ أُخِذَ. وَفِي جِيلِهِ مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنَّهُ قُطِعَ مِنْ أَرْضِ الأَحْيَاءِ، أَنَّهُ ضُرِبَ مِنْ أَجْلِ ذَنْبِ شَعْبِي؟ وَجُعِلَ مَعَ الأَشْرَارِ قَبْرُهُ، وَمَعَ غَنِيٍّ عِنْدَ مَوْتِهِ. عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ ظُلْمًا، وَلَمْ يَكُنْ فِي فَمِهِ غِشٌّ.

(إشعياء 53: 6 – 9).

24

الله خادم، وليس سيّداً للعبيد

لاَ أَعُودُ أُسَمِّيكُمْ عَبِيدًا، لأَنَّ الْعَبْدَ لاَ يَعْلَمُ مَا يَعْمَلُ سَيِّدُهُ، لكِنِّي قَدْ سَمَّيْتُكُمْ أَحِبَّاءَ لأَنِّي أَعْلَمْتُكُمْ بِكُلِّ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ أَبِي (يوحنَّا 15: 15).

إنَّ الله لا يريد منَّا خضوعاً نابعاً عن إيمان أعمى. إنَّه يريد صداقتنا. ونحن عندما نتحدَّث إلى صديق، لا نتصرَّف تصرُّفات شكليَّة ولا نلجأ إلى طرائق التصوُّف. يريدنا الله أنْ نتحدَّث إليه بصدق مثلما نتحدَّث إلى صديق مقرَّب ــ هذا هو المعنى الحقيقي للصلاة. لقد خلق الله فينا القدرة على التفكير، وهو يدعونا إلى ممارسة هذه القدرة: "هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ، يَقُولُ الرَّبُّ" (إشعياء 1: 18).

فَدَعَاهُمْ يَسُوعُ وَقَالَ: «أَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رُؤَسَاءَ الأُمَمِ يَسُودُونَهُمْ، وَالْعُظَمَاءَ يَتَسَلَّطُونَ عَلَيْهِمْ. فَلاَ يَكُونُ هكَذَا فِيكُمْ. بَلْ مَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ عَظِيمًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ خَادِمًا، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ فِيكُمْ أَوَّلًا فَلْيَكُنْ لَكُمْ عَبْدًا، كَمَا أَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُخْدَمَ بَلْ لِيَخْدِمَ، وَلِيَبْذِلَ نَفْسَهُ فِدْيَةً عَنْ كَثِيرِينَ» (متَّى 20: 25 – 28).

لقد برهن يسوع على شريعة الحياة، حيث أعطى مِن ذاته ليخدم الآخرين.

وَكَانَ يَسُوعُ يَطُوفُ كُلَّ الْجَلِيلِ يُعَلِّمُ فِي مَجَامِعِهِمْ، وَيَكْرِزُ بِبِشَارَةِ الْمَلَكُوتِ، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضَعْفٍ فِي الشَّعْبِ. فَذَاعَ خَبَرُهُ فِي جَمِيعِ سُورِيَّةَ. فَأَحْضَرُوا إِلَيْهِ جَمِيعَ السُّقَمَاءِ الْمُصَابِينَ بِأَمْرَاضٍ وَأَوْجَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَالْمَجَانِينَ وَالْمَصْرُوعِينَ وَالْمَفْلُوجِينَ، فَشَفَاهُمْ. فَتَبِعَتْهُ جُمُوعٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الْجَلِيلِ وَالْعَشْرِ الْمُدُنِ وَأُورُشَلِيمَ وَالْيَهُودِيَّةِ وَمِنْ عَبْرِ الأُرْدُنِّ (متَّى 4: 23 – 25).

فَأَتَى إِلَيْهِ أَبْرَصُ يَطْلُبُ إِلَيْهِ جَاثِيًا وَقَائِلًا لَهُ: «إِنْ أَرَدْتَ تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرَنِي» فَتَحَنَّنَ يَسُوعُ وَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ وَقَالَ لَهُ: «أُرِيدُ، فَاطْهُرْ!» فَلِلْوَقْتِ وَهُوَ يَتَكَلَّمُ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ وَطَهَرَ (مرقس 1: 40 – 42).

لقد عَمِل يسوع بعطف وبلا كلل ليخفِّف كلَّ أشكال المعاناة. لم يكن أحدٌ أبعد مِن أنْ ينال ملاحظته ورعايته المُحِبَّة: "وَأَشْيَاءُ أُخَرُ كَثِيرَةٌ صَنَعَهَا يَسُوعُ، إِنْ كُتِبَتْ وَاحِدَةً وَاحِدَةً، فَلَسْتُ أَظُنُّ أَنَّ الْعَالَمَ نَفْسَهُ يَسَعُ الْكُتُبَ الْمَكْتُوبَةَ. آمِينَ" (يوحنَّا 21: 25).

يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي، قَامَ عَنِ الْعَشَاءِ، وَخَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَل، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلاَمِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا (يوحنَّا 13: 3 – 5).

إنَّ "فعل الله" هذا الموحي بالكثير يحدث في عشاء المسيح الأخير قبل ساعات فقط مِن محاكمته وصلبه. يقدِّم إنجيل لوقا التفاصيل التالية التي تدين تلاميذ يسوع خلال هذه المناسبة: "وَكَانَتْ بَيْنَهُمْ أَيْضًا مُشَاجَرَةٌ مَنْ مِنْهُمْ يُظَنُّ أَنَّهُ يَكُونُ أَكْبَرَ" (لوقا 22: 24).

إليكم الخلفيَّة: كان يسوع يعلم أنَّه قد أتى مِن عند الله. وكلُّ الأشياء كانت بين يديه. بعبارة أخرى، كان يسوع يدرك إدراكاً تامَّاً أنَّه كان الله بكلِّ قوَّة الله. وكان يدرك أيضاً أنَّ تلاميذه كانوا في نزاع حول مَن منهم سيكون الأعظم في ملكوت الله. ماذا فعل يسوع؟ لقد "أخذ منشفة، واتَّزر بها" وغسل أقدام تلاميذه المعتدِّين بذواتهم (وكانت تلك مهمَّة عبد مِن عبيد المنازل في حضارة ذلك العصر).

فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا: الَّذِي إِذْ كَانَ فِي صُورَةِ اللهِ، لَمْ يَحْسِبْ خُلْسَةً أَنْ يَكُونَ مُعَادِلًا للهِ. لكِنَّهُ أَخْلَى نَفْسَهُ، آخِذًا صُورَةَ عَبْدٍ، صَائِرًا فِي شِبْهِ النَّاسِ.

(فيلبِّي 2: 5 – 7).

25

الله يحبُّك محبَّة غير مشروطة

هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلاَ تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلاَءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا لاَ أَنْسَاكِ. هُوَذَا عَلَى كَفَّيَّ نَقَشْتُكِ. أَسْوَارُكِ أَمَامِي دَائِمًا (إشعياء 49: 15 – 16).

قد تمرُّ علينا أوقات نشعر فيها أنَّ الله قد نسينا، لكنَّ المشاعر ليست دائماً مقياساً دقيقاً للواقع. يقول الله أنَّه لن ينسانا: "أَلَيْسَتْ خَمْسَةُ عَصَافِيرَ تُبَاعُ بِفَلْسَيْنِ، وَوَاحِدٌ مِنْهَا لَيْسَ مَنْسِيًّا أَمَامَ اللهِ؟ بَلْ شُعُورُ رُؤُوسِكُمْ أَيْضًا جَمِيعُهَا مُحْصَاةٌ. فَلاَ تَخَافُوا! أَنْتُمْ أَفْضَلُ مِنْ عَصَافِيرَ كَثِيرَةٍ!" (لوقا 12: 6 – 7).

"فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا" (رومية 8: 38 – 39).

سيكون مِن المستحيل أنْ نعبِّر عن مدى محبَّة الله لنا. كلُّ محاولاتنا لوصف محبَّته تفشل في تحقيق مبتغاها.

"انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ! مِنْ أَجْلِ هذَا لاَ يَعْرِفُنَا الْعَالَمُ، لأَنَّهُ لاَ يَعْرِفُهُ" (يوحنَّا الأولى 3: 1).

إنَّ الله يرغب في أنْ يعترف به كلُّ واحدٍ منَّا كأبٍ سماويّ. عندئذ سننال ميراثنا كأبناء الله وبناته.

أُنْظُرُوا، لاَ تَحْتَقِرُوا أَحَدَ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ، لأَنِّي أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلاَئِكَتَهُمْ فِي السَّمَاوَاتِ كُلَّ حِينٍ يَنْظُرُونَ وَجْهَ أَبِي الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ. لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ قَدْ جَاءَ لِكَيْ يُخَلِّصَ مَا قَدْ هَلَكَ. مَاذَا تَظُنُّونَ؟ إِنْ كَانَ لإِنْسَانٍ مِئَةُ خَرُوفٍ، وَضَلَّ وَاحِدٌ مِنْهَا، أَفَلاَ يَتْرُكُ التِّسْعَةَ وَالتِّسْعِينَ عَلَى الْجِبَالِ وَيَذْهَبُ يَطْلُبُ الضَّالَّ؟ وَإِنِ اتَّفَقَ أَنْ يَجِدَهُ، فَالْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُ يَفْرَحُ بِهِ أَكْثَرَ مِنَ التِّسْعَةِ وَالتِّسْعِينَ الَّتِي لَمْ تَضِلَّ. هكَذَا لَيْسَتْ مَشِيئَةٌ أَمَامَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ أَنْ يَهْلِكَ أَحَدُ هؤُلاَءِ الصِّغَارِ (متَّى 18: 10 – 14).

إنَّ كلَّ إنسان، مِن أعظم مَلك متعجرف جالس على العرش إلى أفقر متسوِّل في الشارع، يحظى بقيمة عند الله. كم تبلغ تلك القيمة؟ إنَّ الله كان سيترك السماء، وكان سيعاني ويموت، مِن أجل فرد واحد فقط مِن عائلته البشريَّة ـ في حال كان ذلك الشخص هو الوحيد الذي يحتاج إلى الخلاص الذي يأتي عن طريق المصالحة.

وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ، مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ.

(إرميا 31: 3).

26

ملكوت الله

وَلَمَّا سَأَلَهُ الْفَرِّيسِيُّونَ: «مَتَى يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ؟» أَجَابَهُمْ وَقَالَ: «لاَ يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ، وَلاَ يَقُولُونَ: هُوَذَا ههُنَا، أَوْ: هُوَذَا هُنَاكَ! لأَنَّ هَا مَلَكُوتُ اللهِ دَاخِلَكُمْ»
مِن أقوال يسوع (لوقا 17: 20 – 21)

إنَّ ما في هذا العالَم مِن ممالك ومؤسَّسات يمكن رؤيتها جميعها، حيث توجد لها مقرَّات أو مراكز حكوميَّة. إذا كنَّا نبحث عن مظهر واضح لملكوت الله، فلن نجده. إنَّ ملكوت الله لا يظهر بشكل واضح إلَّا في قلوبنا إذ تبدأ محبَّتنا لله وللآخر بالحلول محلّ أنانيَّتنا.

وَقَالَ [أي يسوع]: «بِمَاذَا نُشَبِّهُ مَلَكُوتَ اللهِ؟ أَوْ بِأَيِّ مَثَل نُمَثِّلُهُ؟» (مرقس 4: 30).

كم مِن الصعب أنْ نجد الكلمات التي تنقل بلغة الناس صورة دقيقة عن ملكوت الله وتوصلها إلى أولئك الذين لا يعرفون سوى ممالك هذا العالَم!

أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنْ فَوْقُ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَرَى مَلَكُوتَ اللهِ» (يوحنَّا 3: 3).

إنَّ عمل الروح القدس هو أنْ يجعل الروحيَّات أموراً سهلة الفهم. عندما نرحِّب بالتأثير اللطيف للروح القدس، يصبح التركيز منصبَّاً على الحقيقة الروحيَّة، وهكذا يصير مِن الممكن رؤية ملكوت الله أو فهمه. والتغيير الحاصل في طريقة النظر إلى هذا الواقع الجديد هو ما يأتي بالمصالحة ويمنح الحياة، مِثل أنْ يولد المرء ولادة جديدة، أي "يتجدَّد".

إنَّ الروح القدس لا يقتصر في نشاطه ضمن الحدود الدِّينيَّة، كما نتخيَّل أحياناً. وهو يتحدَّث إلى جميع الناس بغضّ النظر عن خلفيَّاتهم أو أماكن تواجدهم على الكوكب أو ما يعتقدون به مِن أيديولوجيَّات. حتَّى الملحدون ليسوا محصَّنين ضدَّ عمل الروح القدس في القلب. إنَّ الله ليس متحيِّزاً قصير النظر، مثلنا نحن. وهو لا يشعر بالإهانة عندما لا يعلن الشخص عن إيمانه بوجوده.

إنَّ جوهر الأمور الروحيَّة التي يجعلها الروح القدس مفهومة ليس مجرَّد معرفة عقليَّة، بل هو تغيير في القلب. وكمثال على ذلك، يكون الملحد أو اللأدري الرحيم القلب والسخيّ أكثر

استجابة لتأثير الروح القدس وأقرب إلى ملكوت الله مِن المتديّنين القساة القلب والمعتدّين ببرّهم الذاتي. ما الذي سيكون أكثر صعوبة بالنسبة إلى الله: تغيير رأي شخص فيما يتعلّق بوجوده أو تغيير قلبٌ صلب ومعاند؟

> وَقَدَّمُوا إِلَيْهِ أَوْلاَدًا لِكَيْ يَلْمِسَهُمْ. وَأَمَّا التَّلاَمِيذُ فَانْتَهَرُوا الَّذِينَ قَدَّمُوهُمْ .فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ ذلِكَ اغْتَاظَ وَقَالَ لَهُمْ: «دَعُوا الأَوْلاَدَ يَأْتُونَ إِلَيَّ وَلاَ تَمْنَعُوهُمْ، لأَنَّ لِمِثْلِ هؤُلاَءِ مَلَكُوتَ اللهِ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ لاَ يَقْبَلُ مَلَكُوتَ اللهِ مِثْلَ وَلَدٍ فَلَنْ يَدْخُلَهُ» (مرقس 10: 13 – 15).

سنجد أنَّ الجزء الأصعب ـ عندما يتعلّق الأمر بتعلُّم الحقّ عن الله وعن مملكته ـ ليس في التعلُّم في حدِّ ذاته، بل في محو التعلُّم الذي ينبغي القيام به. لقد بذل الكثيرون منَّا قدراً هائلاً في تطوير صورة رسمناها عن الله. إذا كانت هذه الصورة مشوَّهة، فقد يكون مِن الصعب للغاية التخلّي عنها. وبما أنَّ الصورة المشوَّهة عن الله قد دُمِجت في الديانة الشعبيَّة السائدة لفترة طويلة، فإنَّها تمثِّل أكبر عقبة أمام فهم الحقّ المتعلِّق بالله وبمملكته. وهذه الصورة المشوَّهة عن الله يتعرَّض إليها الأطفال بنسبة أقلَّ نوعاً ما، وهذا يُسهِّل عليهم قبول الحقّ فيما يتعلَّق بإلهنا الرؤوف.

> فِي تِلْكَ السَّاعَةِ تَقَدَّمَ التَّلاَمِيذُ إِلَى يَسُوعَ قَائِلِينَ: «فَمَنْ هُوَ أَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ؟» فَدَعَا يَسُوعُ إِلَيْهِ وَلَدًا وَأَقَامَهُ فِي وَسْطِهِمْ وَقَالَ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنْ لَمْ تَرْجِعُوا وَتَصِيرُوا مِثْلَ الأَوْلاَدِ فَلَنْ تَدْخُلُوا مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ. فَمَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مِثْلَ هذَا الْوَلَدِ فَهُوَ الأَعْظَمُ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (متَّى 18: 1 – 4).

إنَّ ملكوت السموات هو النقيض لممالك العالَم. لا مكان فيه للكبرياء أو التلاعب أو الإكراه أو الاعتزاز بالمكانة أو المنصب. إنَّنا بحاجة إلى أنْ نثق بأبينا السماويّ ثقة شبيهة بثقة الأطفال، وإلى أنْ يكون لدينا استعداد للانفتاح على التعلُّم المستمرّ.

> أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ كَنْزًا مُخْفىً فِي حَقْلٍ، وَجَدَهُ إِنْسَانٌ فَأَخْفَاهُ. وَمِنْ فَرَحِهِ مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَى ذلِكَ الْحَقْلَ. أَيْضًا يُشْبِهُ مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ إِنْسَانًا تَاجِرًا يَطْلُبُ لآلِئَ حَسَنَةً، فَلَمَّا وَجَدَ لُؤْلُؤَةً وَاحِدَةً كَثِيرَةَ الثَّمَنِ، مَضَى وَبَاعَ كُلَّ مَا كَانَ لَهُ وَاشْتَرَاهَا (متَّى 13: 44 – 46).

عندما نصل إلى فهم الحقّ الخاصّ بالله ـ الحقّ القائل بأنَّ محبَّة الله هي محبَّة لا حدود لها وهي محبَّة تتمحور حول الآخر، وبأنَّه رحوم سخيّ وجدير بكلّ الثقة ـ سيكون لدينا في

الوقت نفسه فهم واضح لشكل مملكته. سنرى أنَّ الصورة المشوَّهة التي رسمناها عن الله لا قيمة لها وسنبيعها بفرح لنشتري الصورة الحقيقية عن الله وعن مملكته.

فَجَاءَ وَاحِدٌ مِنَ الْكَتَبَةِ وَسَمِعَهُمْ يَتَحَاوَرُونَ، فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ أَجَابَهُمْ حَسَنًا، سَأَلَهُ: «أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ أَوَّلُ الْكُلِّ؟» فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. وَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى .وَثَانِيَةٌ مِثْلُهَا هِيَ: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. لَيْسَ وَصِيَّةٌ أُخْرَى أَعْظَمَ مِنْ هَاتَيْنِ». فَقَالَ لَهُ الْكَاتِبُ: «جَيِّدًا يَا مُعَلِّمُ. بِالْحَقِّ قُلْتَ، لأَنَّهُ اللهُ وَاحِدٌ وَلَيْسَ آخَرُ سِوَاهُ. وَمَحَبَّتُهُ مِنْ كُلِّ الْقَلْبِ، وَمِنْ كُلِّ الْفَهْمِ، وَمِنْ كُلِّ النَّفْسِ، وَمِنْ كُلِّ الْقُدْرَةِ، وَمَحَبَّةُ الْقَرِيبِ كَالنَّفْسِ، هِيَ أَفْضَلُ مِنْ جَمِيعِ الْمُحْرَقَاتِ وَالذَّبَائِحِ». فَلَمَّا رَآهُ يَسُوعُ أَنَّهُ أَجَابَ بِعَقْلٍ، قَالَ لَهُ: «لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ». وَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ بَعْدَ ذلِكَ أَنْ يَسْأَلَهُ! (مرقس 12: 28 – 34).

لقد شجَّع يسوع الكاتبَ بأنْ أجابه قائلاً: "لَسْتَ بَعِيدًا عَنْ مَلَكُوتِ اللهِ". إنَّ ذلك الكاتب قد أبدى فهماً أعمق للحقائق الروحية أكثر ممَّا أبداه معظم الناس. لقد ذهب إلى ما هو أبعد مِن القراءة السطحيَّة للأسفار المقدَّسة، واستوعب تصوُّراً يقوم على شريعة المحبَّة التي جاء بها يسوع.

كيف ستبدو الأرض عندما ستصبح شريعة المحبَّة هي الشريعة الوحيدة السائدة؟ إنَّ محبَّة الله المرتكزة في الآخر سنتعكس في البشريَّة جمعاء. وكلُّ إنسان سينظر بعين الحبِّ والتقدير إلى أخيه الإنسان معتبراً أنَّ أخاه الإنسان أفضل مِن نفسه (فيلبّي 2: 3). ستكون هناك حالة لا متناهية مِن السعادة والأمان التي لا يمكننا تخيُّلها.

بَلْ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ:«مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ».

(كورنثوس الأولى 2: 9).

27

الله يعرض علينا الحرِّيَّة الحقيقيَّة

وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا، فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ، وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ، وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ» (سِفر التكوين 1: 26).

إنَّ السُّلطة التي أعطاها الله للبشر على الأرض لم تخوِّل لهم استغلالها أو إساءة استعمالها. كان على آدم وحوَّاء وأولادهما أنْ يرعوا الأرض وكلَّ مخلوق فيها بكلِّ حبٍّ. يسجِّل الكتاب المقدَّس ما يلي، "أَمَّا الأَرْضُ فَأَعْطَاهَا لِبَنِي آدَمَ" (مزمور 115: 16). عندما صدَّق أبوانا الأوَّلان الكذبة القائلة بأنَّ الله أنانيٌّ ومقيِّد للحرِّيَّات، تغلَّب عليهما المخادع وصار ذهناهما خاضعين له، "لأَنَّ مَا انْغَلَبَ مِنْهُ أَحَدٌ، فَهُوَ لَهُ مُسْتَعْبَدٌ أَيْضًا!" (بطرس الثانية 2: 19). وحيث كان لآدم وحوَّاء الحرِّيَّة في يوم مِن الأيام، صارا الآن هما وأولادهما تحت عبوديَّة الشيطان. وللحظة مرعبة بعد السقوط، بدا أنَّ البشريَّة بكلِّ عجزها لن يكون لها ملاذ سوى أنْ يُحكَم عليها بالهلاك المحتوم نفسه الذي لن يفرَّ منه الشيطان ولا غيره مِن الملائكة الساقطين.

ومع ذلك، هناك أخبار سارَّة. لقد أعدَّ الله لهما ولذرِّيتهما طريقاً للخلاص مِن العبوديَّة. وللاستجابة لهذه الحالة الطارئة، قال الله للشيطان هذه الكلمات: "وَأَضَعُ عَدَاوَةً بَيْنَكِ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، وَبَيْنَ نَسْلِكِ وَنَسْلِهَا" (سِفر التكوين 3: 15). يا تُرى، ما هي هذه العداوة؟

إنَّ الشيطان، عندما تمرَّد هو وأتباعه على الله في السماء، فقد قاموا بذلك من موقع علاقة طويلة الأمد مع الآب والابن والروح القدس. وكانت لديهم خبرة واسعة خوَّلت لهم أنْ يعرفوا محبَّة الله، ولم يكن هناك ما يدعوهم إلى الشكِّ في صلاحه. عندما انفصلوا عن الله، جعلوا أنفسهم غير قادرين على الاستجابة للروح القدس. وهم، نتيجة كبريائهم وعنادهم، قد حكموا على أنفسهم بالظلام والنسيان في نهاية المطاف وعدم القدرة على التوبة والعودة إلى خالقهم.

أمَّا آدم وحوَّاء، فهما عندما أخطأا، فقد قاما بذلك مِن موقع خبرة محدودة مع الله ومعرفة محدودة به. لقد وقعا تحت خداع الشيطان، ولم يكونا قد اتَّخذا قراراً محسوباً برفض خالقهما. إنَّ اغتراب البشريَّة عن الله لم يكن ليمرَّ بدون علاج. إنَّ وعد الله بأنَّه "سيضع عداوة" بين الشيطان والمرأة كان رسالة الإنجيل الأصليَّة للأرض.

إنَّ الله برحمته بشَّر آدم وحوَّاء وأحفادهما بأنَّ قلوبهم وعقولهم ستظلُّ قادرة على الاستجابة للروح القدس ـ لأنَّهم سيكونون حتَّى ذلك الحين عرضة لمحبَّة الله. إنَّ عبوديَّة البشريَّة للشيطان لن تكون عبوديَّة مُطلَقة. وستظلُّ الإرادة الحرَّة لكلِّ شخص مصونة، ممَّا يحدُّ مِن تأثير الشيطان علينا ويضمن حريَّتنا في اختيار أنْ نتصالح مع خالقنا.

لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ.
(رومية 8: 21).

فَاثْبُتُوا إِذًا فِي الْحُرِّيَّةِ الَّتِي قَدْ حَرَّرَنَا الْمَسِيحُ بِهَا، وَلاَ تَرْتَبِكُوا أَيْضًا بِنِيرِ عُبُودِيَّةٍ.
(غلاطية 5: 1).

فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا.
(يوحنَّا 8: 36).

الَّذِينَ فِيهِمْ إِلهُ هذَا الدَّهْرِ قَدْ أَعْمَى أَذْهَانَ غَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ، لِئَلاَّ تُضِيءَ لَهُمْ إِنَارَةُ إِنْجِيلِ مَجْدِ الْمَسِيحِ، الَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ. لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ: «أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ»، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ (كورنثوس الثانية 4: 4، 6).

ألم يحن الوقت لنرمي تلك الغشاوة المظلمة، غشاوة التقيُّد بحرفيَّة الشريعة، غشاوة التناقض، التي يغطِّي بها الشيطان إنجيل المسيح؟ ألم يحن الوقت لكي نختار عدم المشاركة في سوء الفهم السائد حول إلهنا الرؤوف؟

إِنَّكُمْ إِنْ ثَبَتُّمْ فِي كَلاَمِي فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ تَلاَمِيذِي، وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ.

مِن أقوال يسوع (يوحنَّا 8: 31 – 32).

إنَّ الحقّ هو الأخبار السارَّة عن إلهنا الرؤوف!

هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: لاَ يَفْتَخِرَنَّ الْحَكِيمُ بِحِكْمَتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْجَبَّارُ بِجَبَرُوتِهِ، وَلاَ يَفْتَخِرِ الْغَنِيُّ بِغِنَاهُ. بَلْ بِهذَا لِيَفْتَخِرَنَّ الْمُفْتَخِرُ: بِأَنَّهُ يَفْهَمُ وَيَعْرِفُنِي أَنِّي أَنَا الرَّبُّ الصَّانِعُ رَحْمَةً وَقَضَاءً وَعَدْلًا فِي الأَرْضِ، لأَنِّي بِهذِهِ أُسَرُّ، يَقُولُ الرَّبُّ.

(إرميا 9: 23، 24).

تلخيص

1. إنَّ الكتاب المقدس، متى ما فُهِم بشكل صحيح، هو كتاب معقول. إنَّ الكتاب المقدَّس يعرّف ذاته بذاته ويفسِّر ذاته بذاته (إشعياء 1: 18؛ كورنثوس الأولى 2: 13).
2. إنَّ طرقنا وأفكارنا لا تعبِّر عن طرق الله وأفكاره (إشعياء 55: 8 – 9؛ مزمور 50: 21).
3. إنَّ مجد الله هو صفاته (أمثال 34: 6 – 7؛ كورنثوس الثانية 4: 4، 6).
4. الله محبَّة (1 يوحنَّا 4: 8 ، 16).
5. محبَّة الله هي محبَّة غير أنانيَّة على الإطلاق (يوحنَّا 3: 16 – 17؛ رومية 5: 8).
6. المحبَّة تستوجب الحرِّيَّة (سِفر التثنية 30: 19 – 20؛ يوحنَّا 8: 32، 36).
7. يسوع هو الله (يوحنَّا 1: 1 – 3، 14؛ كولوسي 1: 13 – 17).
8. يسوع هو الإعلان الأكثر وضوحاً عن الله (عبرانيِّين 1: 3).
9. الله لا يتغيَّر أبداً (ملاخي 3: 6؛ عبرانيِّين 13: 8؛ يعقوب 1: 17).
10. الله هو الخالق والرزَّاق وليس المُهلِك (سِفر التكوين 1: 1؛ مزمور 33: 6، 9؛ عبرانيِّين 1: 3؛ لوقا 9: 56؛ يوحنَّا 10: 10).
11. إنَّ المسألة المتنازَع عليها هي مبادئ الله في الحكم – وليست سلطته (سِفر التكوين 3: 1 – 5).
12. إنَّ ملكوت الله تحكمه شريعة المحبَّة وليس سلطة القانون (متَّى 22: 37 – 40؛ غلاطية 5: 14، 22 – 23؛ كورنثوس الأولى 13).
13. إنَّ الله لا يلجأ أبداً إلى القوَّة. وهو يغلب الشرَّ بالخير (متَّى 5: 43 – 48؛ رومية 12: 20 – 21؛ لوقا 23: 34).
14. الشيطان هو خصم الله وسيِّد الخداع (يوحنَّا 8: 44؛ كورنثوس الثانية 11: 14؛ رؤيا يوحنَّا 12: 7 – 9؛ بطرس الأولى 5: 8).
15. الخطيئة هي أنْ نرى الله على أنَّه يخدم ذاته وغير جدير بالثقة (سِفر التكوين 3: 1 – 5؛ كولوسي 1: 12).
16. إنَّ الخطيئة – وليس الله – هي مصدر الموت (رومية 6: 23؛ يعقوب 1: 13 – 15).
17. إنَّ الله لا يحكم علينا، بل نحن مَن نحكم على أنفسنا (يوحنَّا 3: 17 – 21؛ 5: 22؛ 12: 44 – 48؛ متَّى 7: 1 – 5؛ لوقا 6: 37؛ رومية 2: 1 – 3).
18. الإنجيل هو الأخبار السارَّة عن الله (2 كورنثوس 4: 3 – 6؛ رؤيا يوحنَّا 14: 6 – 7؛ لوقا 15: 11 – 32؛ يوحنَّا 3: 16 – 17؛ رومية 5: 8).

19. الخلاص هو عمليَّة مصالحة تأتي بالشفاء ـ إنَّه ليس مسألة قانونيَّة (مرقس 2: 16 ـ 17؛ لوقا 4: 18 ـ 19؛ أعمال الرسل 28: 27؛ كورنثوس الثانية 5: 18).
20. إنَّ الحياة الأبديَّة هي أنْ نعرف الله (يوحنَّا 17: 3).

يقدِّم كتاب (أعمال إلهنا الرؤوف) أدلَّة دامغة مِن الكتاب المقدَّس تبرِّئ الله مِن الاتِّهامات الموجَّهة إليه، والتي تصفه بأنَّه لا يبالي، ويطلق الأحكام الانتقادية، ويتحكَّم بمصائر الناس، وبأنَّه ظالم عنيف وسيِّئ الطباع. يوضّح الكتاب أيضاً أنَّ الكتاب المقدَّس بأكمله، إذا فُهِم بشكل صحيح، منسجم مع العبارة التي لا يرقى إليها الشَّكُّ: "الله محبَّة" (١ يوحنَّا ٤: ٨).

إنَّ رحلة المؤلِّف الخاصَّة التي أوصلته إلى صورة أوضح حول إلهنا الرَّؤوف تمتدُّ على مدى ٥٠ عاماً. وهو يعيش مع زوجته (جولي) في شمال ولاية مينيسوتا، في كابينة مستوحاة مِن رواية (والدن) حول الحياة في الغابات. وهو يستمتع بصحبة العديد مِن أصدقائه مِن ذوات الأربعة والمكسوَّة بالرِّيش.